



سرديّة المأساوي في رواية "البكاء" لجيلالي عمراني

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلّبات الحصول على شهادة الماستر

إشراف الأستاذ:
د. بحري بشير

إعداد الطالب:
1- دلهوم صراح

لجنة المناقشة:

رئيسا
مشرفا ومقررا
عضو مناقشا

جامعة البويرة
جامعة البويرة
جامعة البويرة

1. أ/ د. قادة يعقوب
2. أ/ د. بحري بشير
3. أ/ د. كمال علوات

السّنة الجامعية:

2025-2026م

الشكر والتقدير

- الحمد لله حمدا يليق بجلاله وعظيم فضله، نحمده سبحانه وتعالى على ما أنعم به علينا من توفيق وإعانة لإتمام هذا العمل.
- ومصادقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» يسرنا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذنا المشرف الفاضل الدكتور: " بحري بشير " لما قدمه لنا من توجيهات قيمة ونصائح سديدة كان لها الأثر البالغ في إنجاز هذا البحث.
- كما نتوجه بخالص الامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على تفضلهم بقراءة هذا العمل وتقييمه، سائلين الله عز وجل أن يجازيهم عنا خير الجزاء.
- ولا يفوتنا أن نخص بالشكر زميلتنا " فاذية بوطه " التي رافقتنا خلال هذه الرحلة وشاركتنا لحظات التعب والاجتهاد، فكانت الرفيقة والداعمة.
- وفي الأخير نتوجه بالشكر إلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل.
- نسأل الله أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به.

الإهداء

إلى من كانت بعد الله قوتي وسندي، إلى أمي.

مقدمة

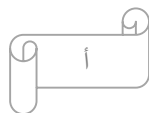
مقدمة:

شغلت الأزمة الجزائرية التي كانت بدايتها سنة 1988 الكثيرين من المثقفين و المبدعين كما شغلت العام قبل الخاص ، بعدما تسلمت إلى يوميات الانسان الجزائري ، وكان ذلك كافيا لتتخذ مادة دسمة استهلكت في العديد من الكتابات حيث أخرجت دور النشر داخل الجزائر وخارجها عناوين عدة تبحث في دقائق هذه الأزمة وتحاول تفكيك وتحليل ومحاورة الواقع الجزائري بمختلف مستوياته بحثا عن الحقيقة و عرضا لها.

كما عرفت الرواية الجزائرية في تلك المرحلة تطورا ملحوظا وذلك لما شهدته من تغيرات طرأت عليها ، حيث تميزت بتحويلات هامة خاصة على مستوى المضمون والبناء الفني الجمالي ، فنظرا للتأثير البارز الذي خلفته الأزمة راحت الرواية الجزائرية تتقل لنا من خلالها الوضع المتأزم الذي كانت تعيشه الجزائر كما أنها نقلت لنا كل مظاهر العنف والارهاب الأعمى الذي قام بحصد أرواح آلاف الجزائريين خلال تلك الفترة المأساوية.

أصبحت الرواية التي اتخذت من العشرية السوداء موضوعا لها من أبرز الأشكال الأدبية التي سعت إلى تمثيل احدى أكثر المراحل مأساوية في تاريخ الجزائر المعاصر ، فقد وجدت الرواية في هذه التجربة التاريخية مادة خصبة لاستكشاف آثار العنف والخوف والتمزق الاجتماعي والنفسي الذي خلفته سنوات الأزمة ، لذلك أصبحت روايات العشرية السوداء فضاءا أدبيا رحبا لفهم الحقبة و استجلاء أبعادها الانسانية والتاريخية والفكرية.

لهذا استطاعت الرواية التي اتخذت العشرية موضوعا لها أن تعبر بصدق عن مختلف التحويلات التي عرفها المجتمع، وأن تقدم تصويرا فنيا يجمع بين الواقعية والإبداع فيكشف الحقيقة ويمنحها بعدا إنسانيا مؤثرا.



هذا ما كان مدار بحثنا الموسوم ب : سردية المأساوي في رواية " البكاء " لجيلالي عمراني يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى : شغفنا بالرواية عموما والجزائرية خصوصا، كما لنا رغبة لمعرفة واستكشاف مرحلة التسعينات في الجزائر تلك الفترة التي عرفت بما حملته من تحولات عميقة وأحداث مأساوية تركت آثارها في مختلف جوانب الحياة، فقد أثارت هذه المرحلة بما اتسمت به من غموض وتعقيد رغبتنا في التعمق في فهم سياقاتها الإنسانية والاجتماعية وهو ما دفعنا للتوجه نحو العمل الروائي بوصفه مرآة تعكس تجليات الواقع وتعيد تشكيله فنيا.

تضمن موضوعنا العديد من الدراسات السابقة نخص بالذكر منها:

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي (الألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية)
- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث.
- ياسين النصير، الرواية والمكان.

وعليه فقد سعينا للإجابة عن الإشكالية التالية ضمن هذا البحث:

- كيف تجلت سردية المأساوي في رواية "البكاء" وتمكنت من نقل أبعادها النفسية والاجتماعية؟

انطلاقا من هذه الإشكالية وجدنا أنفسنا نجيب على العديد من التساؤلات أهمها:

- إلى أي مدى نجح الكاتب في تجسيد المعاناة النفسية للشخصيات في ظل الإرهاب؟
- كيف تفاعلت البنية الزمانية والفضائية في الرواية مع سياق العشرية السوداء وما مدى إسهامهما في إبراز مأساوية الحدث وكشف آثاره النفسية والاجتماعية؟
- إلى أي مدى عكست الرواية مأساة المجتمع وتفكك بنيته خلال مرحلة العشرية السوداء؟

وعليه ارتأينا تقسيم بحثنا على النحو التالي: مدخل وفصلين تطبيين.

تناولنا في المدخل المفاهيم النظرية الأساسية منها تعريف السرد والمأساة... إلخ، في الفصل الأول تطرقنا إلى دراسة البعد الذاتي للشخصيات وكان ذلك في ثلاث مباحث، في المبحث الأول تناولنا السرد والمأساة الذاتية لكل شخصية، في المبحث الثاني سعينا إلى تحليل طبيعة العلاقات المأساوية بين الشخصيات أما المبحث الثالث سلطنا الضوء على تمثيلات المأساة في الخوف، العنف... إلخ على مختلف شخصيات الرواية.

في حين تضمن الفصل الثاني صورة المجتمع التسعيني وذلك من خلال إدراج ثلاث مباحث، المبحث الأول ذكرنا فيه الزمن وتأثره بمرحلة العشرية السوداء، المبحث الثاني أدرجنا فيه الفضاء السردى وطريقة إيراده ليعبر عن المأساة أما المبحث الثالث فذكرنا فيه مختلف الظواهر الاجتماعية التي انتشرت في تلك الفترة.

المنهج الذي اتبعناه هو منهج تحليلي وصفي اجتماعي لأنه كان يناسب طريقة دراستنا للرواية.

اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع أبرزها:

- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق.
- الشريف حبيلة، الرواية والعنف.
- ناجي جمعة، الحوار في الرواية البحرينية المعاصرة.

لقد صادفنا أثناء إنجاز بحثنا عدة صعوبات منها: صعوبة الإلمام بكل جوانب الرواية النفسية خاصة تصنيف الشخصيات وطبيعة العلاقات بينها.

وفي الأخير نتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذنا المحترم الدكتور "بحري بشير" الذي أسعدنا إشرافه على بحثنا، فقد خصص لنا من وقته ومجهوده، وأفادنا بخبرته ومعلوماته القيمة من أجل إكمال عملنا

على النحو التالي، ونشكر الله سبحانه وتعالى ونحمده دائماً وأبداً أولاً وأخيراً فقد من علينا بطفه ورحمته
وقد رنا على إتمام وإنجاز بحثنا.

مدخل

مفهوم السرد: المأساة في الدراسات الأدبية

السرد نشاط انساني مارسه البشر منذ الأزل ولا شك أن، آدم عليه السلام وهو يلقي الملائكة الأسماء التي علمه الله سبحانه وتعالى إياها، قد مارس السرد لأول مرة في حياة البشرية في قوله سبحانه وتعالى: «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين»¹. إذ باشر آدم عليه السلام برد الأسماء على مسامع الملائكة بأمر من الله سبحانه وتعالى: «قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم أنني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»²، من تلك الوقفة بدأ الإنسان ممارسة السرد في التواصل مع غيره، وفي نقل خبراته إلى الأجيال المتلاحقة وفي تسجيل أحداث يومه وتسجيل الحوادث الهامة في حياته، وفي التعبير عن أحلامه وتطلعاته ومخاوفه، فكانت الأشكال متعددة ومتنوعة منها ما حفظ ومنها ما اندثر مثل الخرافات والأساطير والسير والملاحم، وكتب التاريخ والأخبار، والقصص والروايات وكلها أشكال تعبيرية ضمنها الإنسان أخباره وكل شؤونه وخبراته السابقة في الحياة، وفيما يتصل بالموروث السردى العربى فإننا نجد «بعض التسميات مثل السردية العربية، الحكائي العربي والتراث القصصي العربي، والأدب القصصي العربي والسرد العربي القديم»³. وكلها تحيل على ذلك الموروث السردى العربى الذى حفظ للأمة أهم مآثرها وسجل ابداعها وبين عبقرية فكرها ومخيلاتها الإبداعية، كما بين الخصوصية الفنية للسرد العربى

السرد: لغة:

جاءت لفظة السرد في القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: «ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد(10) أن أعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون

¹ القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 30.

² سورة البقرة، الآية 32.

³ ضياء عبد الله الكعبي، تحولات السرد العربى القديم، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2004، ص 8.

بصير(11)»¹ معنى الآية مرتبط بصناعة الدروع الحديدية التي برع داوود عليه السلام في صناعتها وفيها حث على إجادة الصنعة وإحكام ربط حلقات الحديد بعضها مع بعض في تتابع وتراص لا يدع مجالاً لاختراقها من السهام وغيرها من أدوات الحرب فللسرد في اللغة معان متعددة لعل أبرزها الإحكام، وحسن السبك، التتابع، التتالي وورود الأشياء بعضها في أثر بعض في ترابط وانسجام.

ومن المجازات: « نجوم سرد أي متتابعة، وتسرد الدر تنظمه في تتابع ونظام، وماش مسرد يتابع خطاه في مشيه»²

لقد تعددت تعاريف السرد في المعاجم العربية وما أورده ابن منظور في تعريف السرد ما يلي: «يقال سرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا، إذا كان جيد السياق له»³ « وقولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد أي متتابعة وهي: ذو القعدة، ذو الحجة، ومحرم وواحد فرد وهو رجب وسرد الدرع، والحديث والصوم كله باب النصر»⁴ فالسرد يكون متتابعاً ومنتظماً مثل الأشهر الحرم.

السرد: اصطلاحاً:

السرد هو تنظيم الأحداث وحكيها داخل خطاب لغوي وفق ترتيب زمني وفني يتولى فيه الراوي نقل الوقائع والشخصيات من وضع ابتدائي إلى وضع نهائي قصد بناء حكاية ذات معنى ودلالة، فهو الأسلوب المتبع في القصص والروايات كما أنه أداة من أدوات التعبير الإنساني أي: « هو أي شيء يحكى أو يعرض قصة سواء كانت نصاً أو صورة أو أداة أو خليط من ذلك»⁵

¹ سورة سبأ، الآية -10-11.

² ميماء سليمان، البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011، ص 13.

³ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، 2005، مجلد7، مادة (س، ر، د)، ص165.

⁴ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الفكرة، لبنان، ص18.

⁵ مانفريد يان، علم السرد، تر: أماني أبو رحمة، مكتبة بغداد، ط1، سورية، 2011، ص51.

فالسرد هو كل وسيلة تقوم بحكي قصة وتنظيم أحداثها عبر راو، سواء كانت مكتوبة أو مرئية أو مسموعة بهدف نقل حكاية ذات معنى إلى المتلقي، فهذا التعريف يؤكد أن السرد لا يقتصر على النص المكتوب فقط بل يشمل كل ما يحكي قصة أو رواية أو يعرض أحداثا لذلك تعد الروايات والأفلام والرسوم المتحركة وغيرها أشكالاً من السرديات لأنها تقوم على حكاية أحداث وشخصيات في زمان ومكان محددين.

المأساة: لغة:

وردت المأساة في القاموس المحيط بمعنى «أسا: الأسا: مفتوح مقصور المداواة والعلاج، وهو الحزن أيضا، أسا الجرح أسوا أسا: داواه والأسو والإساء، جميعا: الدواء والجمع آسية»¹ فالمأساة هي كل ما يبعث الأسى والحزن.

اصطلاحا:

المأساة هي حالة إنسانية قاسية تنشأ عن فقد أو صدمة أو صراع مؤلم يعجز الإنسان عن تفاديه أو تجاوزه بسهولة، فتؤدي إلى معاناة نفسية واجتماعية عميقة وقد تمس الفرد أو الجماعة فهي تجربة إنسانية مؤلمة تكشف هشاشة الإنسان أمام قوى أقوى منه وت خلف أثرا نفسيا وأخلاقيا عميقا «وما يهم في ظاهرة المأساة هو الموقف الإنساني إزاء الأحداث والخطوب التي تعترض سبيله، ابتداء من صورة النقد-الذي لا راد له-التي تفجع الإنسان بمظاهرها المختلفة وتجعله يتساءل عن مصدر مآسيه وفواجعه»²

¹ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص312.

² حصّة دحماني، ظاهرة المأساة في الشعر العربي، مجلة الأدب، جامعة منتوري الجزائر، العدد 10، 2009، ص13.

فالمأساة لا تكمن فقط في وقوع الألم، بل في وعي الإنسان بعجزه أمام قدر لا مرد له يجعله يقف موقف المتأمل المتسائل عن أسباب معاناته ومصادر مأساته مما يجعلها تجربة وجودية تمس الوجدان وتكشف هشاشة الإنسان أمام ما يفوق طاقته.

سرديّة المأساوي:

هو أسلوب سردي يقوم على تمثيل التجربة الإنسانية في بعدها المؤلم، حيث تبنى الحكاية حول معاناة الشخصيات وصراعها مع قوى قاهرة مثل القدر أو الظلم الاجتماعي أو القهر السياسي أو الفقد أو العجز عن تحقيق المصير المنشود وتتميز سرديّة المأساوي بتركيزها على الألم والمعاناة بوصفها محورا أساسيا في تطور الأحداث وحضور الصراع الحاد الذي ينتهي غالبا بالفشل أو الخسارة أو النهاية المأساوية كذلك تتميز بإبراز هشاشة الإنسان أمام قوى أكبر منه سواء كانت اجتماعية أو تاريخية أو وجودية « حين يتحدث أريستو عن التراجيديا (أغنية الماعز) الفن الذي ارتبط بلبس جلد الماعز على المسرح لتمثيل شخصية "ساتير" فإنه يعتبرها محاكاة لفعل جليل، وهي تتضمن الرحمة والخوف فتحدث تطهيرا لمثل هذه الانفعالات وتقوم على مبدئين: الفكر والأخلاق، وهي تتضمن القصة و العبارة والمنظر والغناء، وهي في الأساس محاكاة للأعمال»¹.

فتتضمن الكتابة المأساوية وتجسيد سرديّة المأساوي على محاكاة الفعل، كفعل تطهير للذات الإنسانية من عواطفها المختلفة بغية تحقيق التوازن النفسي مثل التركيز على استحضار المواقف المأساوية التي تعيشها الشخصية في مواجهتها للعالم وللآخرين وهذا الموقف المأساوي ناجم عن الكثير من المعوقات التي تقف في وجه البطل لمنعه من تحقيق مراده، في سبيل مقاومة هذه المعوقات والمشاق التي يتحملها البطل في سبيل ذلك ينمو الفعل الدرامي وتتعمق المأساة لتصل

¹ عثمان رواق، السردية المأساوية في مجموعة شتاء دمشق، لنوار ياسين، مجلة منتدى الأستاذ، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة،

المجلد 19، العدد 01، 2023، ص193.

إلى تحقيق الإفراغ العاطفي اللازم عنده يعني ذلك أن الانسان قد يجد نفسه في كثير من الأحيان وجها لوجه أمام جملة من التحديات لم يكن له يد فيها ولا اختار أن يخوضها بل فرضت عليه فرضا وشكلت قدره الذي لا مفر منه ولعل في الروايات المأساوية ما يجسد هذا الطرح ففي مثل هذه الأعمال كثيرا ما يقع البطل المأساوي (وجميع الشخصيات في الرواية) تحت وطأة ظروف قاهرة سبقت في الوجود لكنها تؤثر تأثيرا مباشرا على سيرورة حياته وتحقيق مشاريعه إنها قدره باختصار.

السرد المأساوي في الرواية الجزائرية:

الرواية جنس أدبي سردي نثري طويل، يقوم على حكاية أحداث متخيلة أو واقعية، تروى بأسلوب فني عبر شخصيات متعددة تتحرك في زمان ومكان محددين، ويشرف على تنظيمها راو يعتمد تقنيات سردية متنوعة، بهدف تصوير الواقع أو التعبير عن قضايا انسانية واجتماعية وفكرية، فهي «تعالج قطاعا من المجتمع رحابة واسعة، لشخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها، ومن ثمة كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل ثم إن الرواية تتطلب لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة»¹

فالرواية عمل أدبي تكتب بأسلوب نثري راق، لا شعري يجمع الوصف، الحوار والصراع فهي تعتبر من أبرز الفنون الأدبية الحديثة التي ظهرت كجنس أدبي مؤثر. فهي أصبحت «بهذا الزخم الفكري والجمالي والامتع صارت أخيرا من أهم الأجناس الأدبية وجودا، وازدهرت ازدهارا كبيرا في القرن العشرين، وفي قرننا هذا أيضا...وبهذا التطور لم تعد الرواية هدفا للتسلية أو قضاء الوقت فحسب، بل أصبحت عملا فكريا وفنيا يتطلب جهدا خاصا من الكاتب، ومن ثم جهدا متميزا من القارئ الذي أصبح

¹ عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص238.

لزاما عليه أن يقرأ وهو يفكر، وأن يتأنى في قراءته حتى يتمكن من متابعة الصورة التي يرسمها الكاتب للشخصية والتي تتميز بفرديتها لم يسبق لها مثيل»¹

فالنص الروائي أصبح مرتبطا بالتطور الفكري والثقافي والاجتماعي ولم يعد مجرد وسيلة ترفيه حتى أن الرواية صارت أهم الأجناس الأدبية وأكثرها قدرة على التعبير عن واقع الانسان هذا ما دفع بالكتاب الجزائريين إلى تبني هذا الفن والخوض فيه فكانت الرواية الجزائرية التي ظهرت متأخرة مقارنة بالرواية في المشرق العربي إلا أن تطورها كان سريعا لأنها عرفت راجا كبيرا سواء عند الكتاب أو لدى القراء « وتأخر ظهور الرواية...يرجع إلى أن هذا الفن صعب يحتاج تأمل طويل وإلى صبر وأناة ثم يتطلب ظروفًا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به»² فالكتابة الروائية تحتاج التأمل و الصبر في بناء الاحداث و تنسيق الأفكار بأسلوب فني متماسك.

نجد لوطننة الاستعمار أثر كبير على تأخر ظهور هذا الفن، غير أن ظهوره ومرحلة التأسيس الفني له كان مع رواية "اللاز" للطاهر وطار "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة وغيرهم من كتاب قد لاقت راجا ونجاحا منقطع النظير. من هنا نستخلص بأن الكتاب الجزائريين كتبوا روايات عبروا فيها عن واقع البلاد الثقافي، الاجتماعي، السياسي وحتى الاقتصادي فكانت رواياتهم تعكس الحقبة الزمنية التي كانوا يعيشونها بكل تفاصيلها فكان الأدب الذي واكب مرحلة الثورة وما بعد الاستقلال من خيانات واغتيالات وصراعات على المناصب وغيرها لنصل لمرحلة أو فترة زمنية لا تقل خطورة عن فترة الاستعمار وهي مرحلة أواخر الثمانينات وبداية التسعينات هنا أين عاش الشعب الجزائري أبشع فترة تاريخية مرت على البلاد آنذاك وهي مرحلة العشرية السوداء وهذه المرحلة كذلك كانت فيها كتابة وكان الأدباء يحاولون ترجمة أحاسيسهم وعواطفهم من خلال كتاباتهم الروائية « الحدث وقع في فترتين زمنييتين

¹ بشير خلف، الفنون لغة الوجدان، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص317.

² عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، ص237.

متباعدتين نسبيا فوق فعل الاغتيال قبل الاستقلال ووقع في التسعينات، وكان المبدع يجري مقارنة بين هذين الفترتين في القتل فالفعل واحد وشكله مختلف ومن هنا تبدأ المفارقة في الجمع بين زمن الاحتلال وزمن الإرهاب»¹

فهنا وجد الكاتب الجزائري نفسه أمام فترتين زمنيتين متباعدتين إلا أنهما متشابهتين ومتقاربتين في الأحداث ففيهما قتل أبرياء واغتصابات وظلم وقهر وحزن وهموم تكالبت على البلاد والعباد.

هنا ظهر أدب فيه من المأساة و محاولة التعبير عن المجتمع الشيء الكثير سواء من ناحية الأحداث أو الشخصيات أو الزمان والمكان فقد خيم حزن عميق على البلاد بأكملها وبما أن « الإنسان يحى داخل المجتمع وبواسطته بما يوفره له من شعور بالوجود إذ الإنسان مدني بطبعه حسب مقولة العلامة ابن خلدون وبما يتيح له من ممارسة حياته وتوظيف إمكاناته وطاقاته، وبما يوفره له من أسباب العيش»² فإن الكاتب انسان قبل كل شيء وهو أقدر الناس على الإحساس بمجتمعه قبل أي شخص آخر هنا اتجه النص الروائي نحو الكتابة المأساوية أو سردية المأساوي نظرا للواقع المظلم الذي كان يسيطر على البلاد فسردية المأساوي أو « المأساة وإن كان وصفها حالة شعورية يائسة تبعث على الخوف والشفقة مثلما تم تحديدها عند اليونانيين إلا أنها تكتسب جمالا خاصا حين تصويرها في الأعمال الفنية والأدبية فيتحول ما فيها من معاناة واقعية إلى وعاء لغوي يحملها في سياقاته وتراكيبه الدلالية ، ويحمل معها قدرة الكاتب على تجسيد مختلف تفاصيلها في إطار فني ، يضع القارئ بين متناقضين مترابطين الواقع الرديء والنص الجميل»³ فالنصوص التي عبرت عن مأساة العشرية السوداء لا تخلوا من عناصر الجمال الأدبي لأن عنصر الجمال ليس مرتبط بالموضوع وإنما مرتبط بكيفية طرحه وكيفية

¹ محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، دحلب للنشر، الجزائر 2007، ص143.

² بشير خلف، وفتات فكرية، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2009، ص279.

³ يحي سعدوني، جمالية المكان المأساوي في رواية السجون تازممارت، الزنزانة رقم 10 لأحمد المرزوقي أنموذجا، جسور

الاشتغال عليه حتى يوصل الرسالة للقارئ دون أن يخلو من متعة ولذة قراءته والغوص والتعمق في فهمه.

فخاصية « الكتابة الإبداعية أنها تستطيع أن تحرك فينا حالات شعورية تجعلنا نحب هذا ونكره ذاك، نتعاطف مع أولئك ونتحامل ضد هؤلاء، وهي بهذا المعنى، فالكتابة الإبداعية تعمل على تشكيل مدارك الناس بصورة شعورية أو لاشعورية ¹ فالكتابة تؤدي وظيفة فنية وثقافية اجتماعية وهي وظيفة تعكس أشكال الوعي الجماعي ووعي الذات بعالم الإنسان الداخلي والخارجي « الكتابة فعل واع فاعل وفعال من وعن حالات المجتمع وترجمة لأفراحه وآلامه وكشف لانتصاراته وهزائمه... وكلما كانت الكتابة واقعية لا بمعنى التسليم للواقع أو التقاطه صورة طبق الأصل بل بالمعالجة الواقعية... بأسلوب فني راقى كلما ازداد شفافية وكان أدخل إلى القلب وأفعل في النفس ². وهذا ما حدث مع كتاب العشرية السوداء كتبوا روايات عكس الواقع المعاش لكن بأسلوب فني راق جميل محكم ومن الكتاب الذين خاضوا غمار هذا الموضوع نجد الطاهر وطار ، إبراهيم سعدي ، فضيلة فاروق ، محمد ساري، وجيلالي عمراني وغيرهم كثير.

وقد أطلق على روايات هذه المرحلة اسم روايات الأدب الاستعجالي ، وقد انطلق موضوع هذه الروايات بداية من «مظاهرات أكتوبر 1988 التي زلزلت كيان النظام الذي كان قائما آنذاك وشكلت منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر المعاصرة فقد ترتبت على تلك الانتفاضة أمور كثيرة ، وتغيرت أمور كثيرة أهمها تغيير طبيعة النظام السياسي... وجد الروائي في تلك الأحداث فرصة لكي يتطرق لمسألة التجاوزات التي وقعت آنذاك وخاصة ممارسة التعذيب على الشبان المتظاهرين، ونعرف أن هذه المسألة قد أسالت الكثير من الحبر في حينها ³ فالرواية التسعينية هي رواية مأساوية عبرت عن جراح المجتمع

¹ حمري بحري، دراويش الحداثة دراويش السياسة، صادر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 14.

² بشير خلف، وقفات فكرية، ص 279.

³ أحمد منور، ملامح أدبية، دار الساحل للنشر، الجزائر، 2008، ص 165، 164.

وعن العنف والإرهاب والموت اليومي، الخوف والقلق الوجودي صراع السلطة والمجتمع ، معاناة المثقف وصمته أو اغتياله ، كسرت الأشكال التقليدية للسرد وجعلت من الكتابة فعل مقاومة للخراب والصمت لأنها كانت نتاج مرحلة تاريخية وسياسية صعبة عاشتها البلاد خلال تسعينات القرن العشرين طبعها العنف والقلق والتحولت العميقة في المجتمع « عندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس إذ استغرق مدة غير قصيرة وارتكب جرائم كثيرة وارتكبها بفضاعة بلغت أقصى ما بلغته الهمجية»¹. انعكس هذا الوضع الكتاب الذين وجدوا القلم سلاحهم ووسيلتهم للتعبير عن هذا الوضع ونقله وتسجيله بأساليبهم الأدبية المختلفة فكانت مواضيع الروايات مأساوية نابعة من الواقع الجزائري المأساوي فكان حضور كثيف للموت كقدر جماعي، أزمة الهوية التي مزقت الذات بين الانتماء والرفض .

شخصيات هذه الروايات مأزومة منكسرة نفسيا تعيش الخوف الشك والتردد، فاقدة القدرة على الفعل والتغيير تميل إلى الانطواء والتأمل الداخلي فلم تعد شخصيات بطولية، بل أصبحت ضحية للواقع فرواية التسعينات أو رواية العشرية السوداء هي رواية مأساوية تجسد انهيار الإنسان والمكان والزمن معا، فسرديّة المأساوي في رواية التسعينات هي تعبير فني عن انكسار الإنسان الجزائري أمام واقع العنف، حيث تتحول الرواية إلى شهادة إنسانية أكثر من كونها حكاية أحداث واقعية.

¹ عبد الله شطاح، الرواية الجزائرية التسعينية كتابة المحنة أم محنة الكتابة، تباين، العدد 6، 2016، ص 70.

الفصل الأول

الشخصية والسرد المأساوي

المبحث الأول: السرد والمأساة الذاتية.

1- الشخصيات الرئيسية:

2- الشخصيات الثانوية:

3- الشخصيات الهامشية:

المبحث الثاني: السرد ودينامية العلاقات

1- سفيان وباية ونسيج المعاناة:

2- المأساة. مسارات الألم ومحاولات الترميم:

3- مأساة القلم والسلطة:

4- بين الانكسار ومحاولة الترميم:

5- لعنة الذكريات:

المبحث الثالث: تمثيلات المأساة

1-الألم:

1- العنف:

2-الخوف:

3- الأمراض النفسية:

يعد الأدب مرآة عاكسة لتحولات المجتمع وتقلباته، إذ يتكفل بتجسيد مختلف الظواهر التاريخية والنفسية التي تطبع حياة الإنسان، لاسيما في الفترات الحرجة التي تشهد اضطرابات عميقة، وفي هذا السياق برزت الرواية الجزائرية خلال ما عرف بالعيشية السوداء بوصفها فضاء تعبيريا خصبا استطاعت من خلاله رصد مظاهر العنف والانكسار وكشف تداعيات الأزمة التي عصفت بالمجتمع الجزائري في تسعينيات القرن الماضي. فقد شكلت هذه المرحلة منعطفا حادا في الذاكرة الجماعية حيث تداخلت فيها مشاعر الخوف والقلق مع يوميات الأفراد، مما أفرز تحولات نفسية وسلوكية عميقة انعكست بوضوح في المتن الروائي.

وانطلاقا من هذا الإطار يسعى هذا الفصل إلى دراسة الشخصيات الروائية باعتبارها بؤرة أساسية لفهم تجليات تلك المرحلة، إذ لا تعد الشخصيات مجرد عناصر سردية. بل هي كيانات حاملة لرؤى وأحاسيس متشابكة تعبر من معاناة الفرد داخل مجتمع مأزوم.

كما يهتم هذا الفصل بدراسة طبيعة العلاقات التي تنشأ بين هذه الشخصيات سواء كانت علاقات توتر وصراع أو علاقات تضامن هش، حيث تعكس هذه الروابط صورة مصغرة عن البنية الاجتماعية المتصدعة آنذاك، فالعلاقات الانسانية لم تعد قائمة على الانسجام، بل غلب عليها الشك والعداء في كل مناخ عام يسوده الخوف وانعدام الثقة.

المبحث الأول: السرد والمأساة الذاتية.

تعتبر الشخصية في الرواية أحد أهم العناصر السردية، تساهم في بناء الحكمة وتطورها فهي عنصر بنائي في العمل الروائي تسهم في تجسيد أفكار الكاتب ورؤيته « ولم تكن الرواية العربية في معزل عن سرد الأحداث بالسنة عدد من الشخصيات »¹ فالشخصيات هي العنصر الأساسي الذي تدور حوله الأحداث . يقول عند المالك مرتاض « الشخصية هذا العالم المعقد الشديد التركيب المتباين المتنوع ... تتعدد الشخصية الروائية بتعدد الأهواء والمذاهب والايديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتتنوعها و لا لاختلافها من حدود...»² فهي تعتبر الشرارة الأولى للصراع الروائي والتي بدونها لا يمكن للحبكة أن تتحرك أو تتوتر .

1- الشخصيات الرئيسية:

الشخصيات الرئيسية هي التي تدور حولها الأحداث وتكون محور السرد ومركز الاهتمام، تتمحور حولها العقدة الأساسية وتكون الأكثر حضوراً «فهي التي تدور حولها أو بها الأحداث وتظهر أكثر من الشخصيات الأخرى، ويكون حديث الشخصيات الأخرى حولها. فلا تغطي أي شخصية عليها، وإنما تهدف جميعاً لإبراز صفاتها ومن ثم تبرز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها ، وقد تكون الشخصية رمزا للجماعة او أحداث يمكن فهمها من القرائن الملفوطة والملحوظة...»³ فالأحداث لا تأتي منفصلة عن الشخصيات بل ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، اذ تكتشف من خلالها أبعادها النفسية و الاجتماعية. وتبرز هذه الفكرة بوضوح في رواية " البكاء" حيث تتمحور مختلف الأحداث حول شخصياتها الأساسية، التي تنقل معاناة العشرية السوداء وتجسد مأسيتها فكل ما يحدث في الرواية يفهم من خلال

1.صالح صلاح، سرد الاخر، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003، ص70.

² عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص 107.

³ عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، ط4، 2008، ص 135.

تجارب هذه الشخصيات وتحولاتها، مما يجعلها الوسيط الذي يعكس الواقع ويمنح النص عمقه الدلالي والإنساني.

1-1- شخصية سفيان عبد الجليل:

هو إحدى الشخصيات المحورية في الرواية ويمثل نموذج الإنسان الذي يعيش مأساة العشرية السوداء في الجزائر.

يظهر كشخصية تعاني صراعات نفسية واجتماعية جادة، إذ يجد نفسه محاصرا بين واقع العنف والخوف وبين رغبته في الحفاظ على إنسانيته، حيث تتداخل مشاعر القلق، الضياع والحزن... الخ وهذا ما يعكس حضوره البعد المأساوي في الرواية، فقد « كان سفيان مجرد واهم، شكاك غيور مهروس، تجمع كذا عيب في تكوينه »¹ فشخصية سفيان تجسد آثار الأزمة على الفرد من الداخل في ذاته وعلى مستوى تفكيره على الرغم من أنه شخص مثقف.

سفيان هو كاتب روائي غير أن ولوعه بالكتابة وتأثره الكبير بشخوص رواياته هو ما جعله شخصا غريبا في طريقة تفكيره واستيعابه لكثير من الأمور « فهو بين حيتين كلاهما بالنسبة له شر »² فهو من جهة كاتب روائي لا يريد أن يفارق مكتبه الصغير ومن جهة أخرى هو زوج ومسؤول عن زوجته إلا أنه لم يكن أهلا لتلك المسؤولية ولم يتحملها بسبب اضطراباته النفسية نتيجة مصادرة الأمن لمسودة روايته "حرائر" ونشرها فيما بعد باسم "جزائر" لكن نشرت كرواية مشوهة ليست تلك التي كانت في مسوداته « "حرائر" هو المخطوط الذي صادره رجال الدرك بعد المظاهرات التي عرفتها مدينة "ب" أمسية التاسع من أكتوبر 1988 »³ وذلك بسبب الأزمة التي لاحت بوادرها في البلاد على إثر بدء المظاهرات الرفضية

¹ جيلالي عمراني، البكاء، فهرنهايت 451 للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024، ص 163.

² عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1985، ص

162.

³ جيلالي عمراني، البكاء، ص 105.

للنظام وبدء انتشار الجماعات المسلحة في كل مكان هذا ما جعل البلاد تدخل في غليان كبير وهذا ما أثر على المجتمع ككل « وبداية الحديث عن التطرف تكون بالجماعة الدينية التي تقوم حقيقتها على تدين ناتج عن ظروف اجتماعية قاهرة ثم يتحول إلى عقد تظهر في الشكل الذي قد يتغير بتغير الظروف التي أوجدته مما يدل على غياب الوعي والاعتقاد الصحيح المبني على قناعة راسخة وتفكير متأن يبي ما يعتقد به و يفكر فيما يحققه من انجازات ، يقدم نفسه كرؤية مستعدة لمحاورة الآخر الذي تقبل به طرفا في المجتمع ، وتعيش أخيرا حاضرها دون أن تهمل ماضيها مع تطلعها للمستقبل»¹ فالظروف التي كانت تعيشها البلاد كان لها الأثر البالغ على سفيان عبد الجليل ، كما أن انتشار الجماعات المسلحة وأعمال العنف والقتل والتخويف التي كانت تمارسها على الشعب أسهمت في تفاقم الحالة النفسية لسفيان وصعوبة شفائه بالرغم من زيارته لعدة أطباء .

يقول عنه طبيبه "هشام عبيدي" «سفيان عبد الجليل هو ظاهرة شديدة الخصوصية يعاني منها المبدعون بشكل خاص، هو نوع من التعالي ثم النزول المفاجئ أو السقوط الحر.... فقابلية الانتحار مرتفعة جدا بين هؤلاء المرضى بالإضافة الى نوع آخر من المضاعفات التي تعقب الحالة التي يعاني منها سفيان وهي ما يشبه الانتحار كالدخول في عزلة أبدية من فرط الاكتئاب الشديد »² ونظرا لكل ما ذكرناه فإن شخصيه سفيان هي شخصية مريضة منهكة تعب من كل ما عانته سواء كانت ظروف شخصية أو مجتمعية وهذا ما جعله يفضل العزلة والابتعاد عن الناس حتى زوجته والبقاء في البيت وعدم الخروج منه « أقول أحيانا لشخصي الذي فقد كل أسباب العيش خاصة عندما تتضاءل الحلول و الخيارات في حياتي المعقدة بعد رحيل هشام : ماذا تبقى منك يا سفيان غير الألم و التوحد »³ في هذا

¹ الشريف حبيله، الرواية والعنف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، ص 274.

² جيلالي عمران، البكاء، ص 10

³ المرجع نفسه، ص 10.

المقطع سفيان لا يعبر فقط عن تأمل داخلي ، بل يكشف عن يأس عميق يتجلى في العزلة ، و العجز ، و فقدان الامل في التغيير .

1-2- شخصية هشام عدي:

هو شخص مثقف وطبيب متخصص في العلاج النفسي يعيش في سياق اجتماعي مضطرب خلال فترة العشرية السوداء ، دوره لا يقتصر على كونه شخصية عادية داخل الأحداث ، بل يمثل وعي المفكر الذي يحاول فهم ما يجري من عنف وانهيار نفسي في المجتمع ، و نظرا أن « الرواية مساحة إبداعية واسعة النطاق ، تقطنها شخصيات و ذوات متعددة ومتفاوتة... وهو ما يوحي بالعمق »¹ فإن شخصية الطبيب هشام هي بمثابة صوت العقل والتحليل بحكم تخصصه يحاول تفسير الاضطرابات النفسية التي تصيب الأفراد نتيجة الخوف والعنف .

فهشام يتحول بذلك من معالج لحالات فردية إلى شاهد على انهيار نفسي جماعي « عندما أجلس على الكرسي الخشبي الهزاز في انتظار الزبائن ، تسرقني مشاهد القاع مشاهد البؤس اليومي الذي تراه ملء العينين وهو يتجول بين المارة أو عندما يتحول المارة أنفسهم ببرانيهم البورية إلى أشباح في رحلة بحث أو جري في كل الاتجاهات مع حرص شديد على جيوبهم من أنامل اللصوص ينتشرون أمام الطوابير الكثيرة لاقتناء مواد غذائية نادرة »² من هنا يتضح لنا أن المجتمع كان يعيش في حالة أزمة منتشرة في كامل ربوع الوطن وعلى جميع الأصعدة وفي جميع الميادين فأصبح لا سلم ولا أمن ولا سلام والكل مضطرب و مهووس و خائف هذا الطبيب هو في الأصل كان يعيش في الجزائر العاصمة إلا أنه رحل منها الى مدينة البويرة ليفتح عيادة خاصة وذلك لندرة مثل هذه التخصصات في المدن الداخلية وزيادة الحاجة إليها مع تفاقم الظروف الاجتماعية والنفسية للمواطنين فيقول : « السبب بسيط أولا

¹ عزيز نعمان، رواية ما بعد الحداثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ص17.

² - جيلالي عمراني، البكاء، ص 56.

فالمدينة تخلو من الأطباء الاختصاصيين خاصة في الطب النفسي ، ثم تنامي الخوف والجنون في كل المدن الداخلية «¹ بدأ بعلاج الناس في البداية كان الاقبال قليلا غير أنه سرعان ما بدا يزيد مع مرور الايام يقول عن الزبون الأول : « دفع ورقة نقدية ذات الخمسمائة دينار مشكورا على ذلك كان يعاني من مشكلة الأرق رغم محاولاته الكثيرة وزياراته المتكررة للأطباء... كان يفضل أن تداهمه الجماعات المسلحة وهو مستيقظ على أن تغتاله وهو نائم »² و مثل هذه الحالات كثيرة قد صادفها الطبيب خلال مسيرته المهنية في مدينة البويرة حتى ذاع صيته وأصبح يستقبل حتى المجانين في عيادته لتكون نهايته على يد أحد المجانين (الرينقو) الذي كان يعالجه فيما مضى لكنه (الرينقو) حاول قتله (الطبيب) فيما بعد يقول « رأيت شبح الرينقو في تلك اللحظة الجحيمية قد وصل إلى مدخل العمارة عاريا ، وفي يده كل سكاكين الحارة ...»³ هذا المقطع يبرز مفارقة مأساوية تتمثل في أن الطبيب النفساني الذي يفترض أن يعالج الآخرين من آلامهم النفسية أصبح هو نفسه ضحية للخوف والتهديد . هكذا تحول الطبيب من رمز للأمان والعلاج إلى انسان مهدد وهو ما يعمق الطابع المأساوي للرواية، ويبرز شمولية العنف وآثاره النفسية على كل أفراد المجتمع.

1-3- شخصية باية:

باية هي زوجة سفيان عبد الجليل، التقى بها عندما كان في زيارة أقاربه بمدينة افري، ثم أصبح يذهب هناك من أجلها حتى يستميل قلبها نحوه وتقبل الزواج منه، فتزوجها. باية هي الشخصية البكاءة في الرواية يقول عنها الطبيب هشام عدي: « أعرف التفاصيل الخاصة بحياة باية " باية " تلك الإنسانية الرقيقة البكاءة الصامتة في أشد المواقف تعقيدا و عنفا...»⁴ فهي تمثل

¹ جيلالي عمراني، البكاءة، ص 63.

² المرجع نفسه، ص 73.

³ المرجع نفسه، ص 32.

⁴ المرجع نفسه، ص 52.

صوت المعاناة الصامتة ، ترمز بآية إلى المرأة التي وجدت نفسها في قلب المأساة دون أن تختار ذلك ، فهي تعيش تبعات واقع عنيف يهدد استقرارها الاسري والنفسي ، هي إنسانة صبورة لأنها تعيش مع زوج يعاني اضطرابات نفسية كثيرة ولمدة طويلة إلا أنها لم تتخل عنه في محنته بل حاولت علاجه وأخذته لعدة أطباء حتى يسترجع صحته وعافيته . فهي زوجة وفية تعيش تحولات قاسية بفعل الظروف الاجتماعية والسياسية، وجودها لا يقتصر على كونها زوجة فقط، بل تتجسد فيها صورة المرأة الجزائرية التي تعاني في صمت وتحمل عبء الانتظار والقلق.

يقول هشام عدي: « ليس تهويلاً أبداً إذا قلت أنها تتألم بالفعل ، قرأت الكثير في عينيها الشاردتين الملتبستين بعمى الألوان أو بالعمى الذي يحيط بحياتها بالكامل من تفاصيل وصراخ يومي و موت تدريجي لكل حواسها ، تبدو أكبر من سنّها الحقيقي¹ » فهي شخصية تعاني الكثير من المآسي لكنها تلتزم الصمت فلا تحتج و لا تتذمر بل بالعكس تتحمل وهي صامتة هذا ما أعان زوجها لأنها لم تزد من همه ومشاكله الكثيرة .

1-4- شخصية راس الكيلو (عمي بشير):

راس الكيلو هو شخصية تحاول بعث الأمن والأمان وسط الناس وتحاول كبح المظاهرات التي بدأت تظهر في البلاد ، فهو رجل أمن كان يحاول مع فرقته إيقاف التوتر الذي بدأ ينتشر في الوطن لكن « الشيء الوحيد الذي تطور سلبيا في هذه الأقطار تطورا ملحوظا هو الفقر والامية والفكر الطائفي، أما أحلام الجماهير الشعبية في العدالة والحرية والديمقراطية فقد أجهضت بصورة مفزعة و مخجلة² » وذلك لازدياد الغليان بين الناس فهو حاول بعث الأمن وكبح الفوضى المنتشرة بينهم. يتميز بقوته الجسدية وبالتزامه وحرصه على القيام بواجبه على أكمل وجه.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 130.

² عمر أزراج، أحاديث في الفكر والأدب، دار الأمل، الجزائر، 2007، ص 20.

تتجلى في شخصيته القسوة والاندفاع لكنه في العمق نتاج بيئة مضطربة ومجتمع مأزوم يقول عنه سفيان عبد الجليل : « أمرني الدركي الشاب مرافقته حيث يجلس القائد داخل مركبة رباعية الدفع أجد راس الكيلو يملأ الكرسي الجلدي بجوار كرسي القيادة و الهاتف الخليوي في يده اليسرى...»¹ فهو قائد في الجهاز العسكري هذا ما جعله يمتلك تلك الصفات القوية الصلبة التي توحى بالقسوة والظلم والاستبداد « لكنه في كل هذا لا يفقد إيمانه بالإنسان و مثله العليا »² لأنه في اعماقه كان مرهف الاحساس ويشفق على الحال الذي وصلت اليه البلاد وهذا ما جعله يقسوا في أحيان كثيرة على المخطئين والذين يحاولون التعدي على القانون.

1-5- شخصية الرينقو (علاوة):

الرينقو هو شخصية المجنون في الرواية، كان في السابق سجان في سجن المدينة لأربع سنوات، هذه الاخيرة كانت كافية ليجن على الآخر. أصيب بانهيار عصبي من جراء العمل ليلا ، و ملازمته مجرمين و متطرفين و إرهابيين ألقي عليهم القبض في ظروف غامضة ، خرج من المنزل في مدينة البويرة واتجه إلى العاصمة يقال نه كان يعيش في الحقائق هناك ، يقول أخوه الأكبر منه « بأن العائلة لم تدخر أي جهد لانقاذه قبل هروبه ذات فجر ، أخذناه إلى الرقاة ثم إلى الاطباء والأولياء الصالحين...»³ فالحالة النفسية للرينقو تعكس أثر العنف والخوف المنتشر في المجتمع كأن جنونه نتيجة طبيعية لوضع مأساوي عام، يقول الرينقو : « أنا الرينقو ، نعم أنا هنا لأكنس جدكم ، كلاب...ههه...»⁴ فهو يمثل الصوت الذي يصرخ بما يخاف الآخرون قوله ، جنونه يمنحه نوعا من الحصانة فيتكلم بلا خوف ،

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 111.

² عبد الله ركيبي، أحاديث في الأدب والثقافة - دار الكتاب العربي، 2009، ص 69.

³ جيلالي عمران، البكاء، ص 82.

⁴ المرجع نفسه، ص 81.

فالجنون الفردي هنا ليس سوى انعكاسا لجنون جماعي أشد خطورة ، حالته هي مرآة تعكس آثار العشرية الدامية على الذات الجزائرية ، وتؤكد أن الاضطراب النفسي لم يكن حالة فردية معزولة ، بل نتيجة طبيعية لانهايار منظومة القيم واستفحال العنف، وبذلك يغدو الرينقو شخصية كاشفة لما لم يستطع أن يصرح به الضمير الجمعي كما أنه

« ضحية لبشاعة العنف الممارس في تلك الفترة المعروفة بالعشرية السوداء»¹ هذا المقطع يعكس فكرة أن شخصية الرينقو لم تكن شريرة بطبعها بل هي نتاج لواقع دموي قاس عاشته الجزائر خلال فترة العشرية السوداء، حيث انتشر العنف و الخوف و الاضطراب النفسي في المجتمع، ومن هنا يفهم أن جنون الرينقو ليس حالة فردية معزولة ، بل هو انعكاس لما شهده من صدمات و ضغوط نفسية في تلك المرحلة، بهذا تتحول شخصية الرينقو إلى رمز للإنسان الجزائري الذي سحقه العنف، مما يعمق الطابع المأساوي للرواية و يجعلها شهادة أدبية على تلك المرحلة المؤلمة.

2- الشخصيات الثانوية:

الشخصية الثانوية هي التي تظهر في الرواية إلى جانب الشخصية الرئيسية لكنها لا تكون محور الأحداث «الشخصيات يمكن ان تكون مهمه او اقل أهمية (وفقا لأهمية النص) فعالة ومستقرة (حينما لا يكون هناك تناقض في صفاتها وأفعالها) أو مضطربة و سطحية »² فالشخصية الثانوية تدعم السرد وتساعد على تطور الأحداث تبرز صفات الشخصية الرئيسية كما أنها تكسر تركيز القارئ على الشخصيات الرئيسية فقط وتحول ذهنه لشخصيات أخرى.

وللسير الحسن والجيد للنص الحكائي وتطور أحداثه يجب «وجود أنماط مختلفة لتقديمها: شخصيات رئيسية وشخصيات ثانوية، شخصيات ثابتة وشخصيات متغيرة، شخصيات تصور من داخل عقلها

¹ - الشريف حبيله ، الرواية والعنف ، ص276.

² جيرالد برنس، المصطلح السردى، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003، ص42.

وشخصيات ينظر إليها آخرون من الخارج»¹ فهي شخصية مساعدة للشخصيات الرئيسية أو معارضة لها، كما أنها تحرك بعض الأحداث أو تفسرها وتمثل فئات اجتماعية أو أفكار معينة داخل الرواية.

2-1- شخصية عبير:

عبير هي مدرسة في الابتدائي تعيش مع أمها قريباً من العاصمة، وهي زوجة الطبيب النفسي هشام عبدي تتميز بهدوئها ومحاولة احتواء زوجها ومساندته في مشاكله فهي شخصية مساعدة لشخصية هشام ودائماً تقف وراءه تدفعه قدماً للوصول إلى أهدافه، لأن هذا سيعود بالخير عليهما كليهما.

في هذا الموقف يقول هشام عبدي لما رآها لأول مرة: «تعلقت عيناى بوجهها العادي، لا شيء مثير في عبير سوى تلك الرقة المبالغية التي ألهمت عواطفى، نعم، حاولت إخفاء ذاك الجمال الذي لم يره غيرى...»² شخصيتها وحضورها قلب حال الطبيب هشام حتى أنه لم يستطع أن يفارقها منذ أن شاهدها للمرة الأولى تحدثت إليه و سألته في المستشفى الذي كان يعمل به يقول: «كانها لمست بكلماتها تلك كل أوجاعي، ضربت كل قناعاتي وأوهامي في الصميم بضربة قاصمة، كالحب الخالد مثلاً. نسيت بقية القول استجمعت ذاتي لأقف أمامها بحماس»³ فبالرغم من كونها شخصية ثانوية إلا أن حضورها كان قوياً ومؤثراً على الطبيب وذلك لأنها كانت شخصية متفهمة، صبورة وفي نفس الوقت غيورة عليه إلا أنها لا تظهر ذلك وتحاول إخفاء كل أحاسيسها ومشاعرها حتى تعيش حياة هادئة مستقرة هائلة.

2-2- شخصية زبيدة:

زبيدة هي الممرضة التي عينتها عبير لتعمل لدى زوجها الطبيب النفساني هشام عبدي، يقول هذا الأخير بأنها كانت ذات مواصفات خاصة من بينها أنها كانت قبيحة وذلك لكيلا تثير إعجابه

¹ ديفيد لودج، الفن الروائي، تر: ماهر البطوطي، مؤسسة هنداوي، 2023، ص 80.

² جيلالي عمراني، البكاء، ص 58.

³ المرجع نفسه، ص 57.

يقول: «زبيدة ابنة جارنا في العمارة، لم أستغرب اختيارها لها، رأيتها مرات قليلة، ذات قوام رجالي بامتياز، عدت عبير مزاياها الكثيرة، ولم تقل أيضا أنها قبيحة لن تثير شكوكي أبدا يا زوجي لعزير»¹ إلا أنها تتميز باجتهادها وتقانيها وحبها للعمل إضافة إلى أنها كانت كاتمة لأسرار الطبيب وما يحدث في عيادته من أمور و مشاهد مختلفة، يضيف هشام عبيدي قائلا : « كانت تجيء باكرا لتسجيل قائمة المرضى حسب الأولوية ، الأمر لم يقف عند هذا الحد إذ لها علاقات متعددة في المدينة ، بواسطتها اكتسبت زبائن جدد... وإلى جانب إتقانها للعمل فهي أيضا كتومة جدا، أمينة أسراري ، تأكدت مرارا أنها بالفعل الشخص المناسب في المكان المناسب ، فهي تدير شؤون عيادتي بحكمة وتقان »² فهي شخصية ساعدت الطبيب كثيرا حتى أنها كانت السبب في مجيء زبائن جدد للعيادة فهي من كانت تروج له و لعيادته

بالتالي فقد ساعدت ساعدت الطبيب كثيرا في مجاله المهني رغم محدودية حضورها في السرد لكنها قدمت له الدعم المعنوي والعملي، إذ كانت مصدرا للمساندة في لحظات التوتر والضغط التي عاشها، وساهمت في تخفيف معاناته النفسية ما جعل دورها يتجاوز الهامش إلى التأثير الفعلي في تطور الأحداث، وبالتالي رغم ثانويتها فإن زبيدة تمثل عنصرا مساعدا يكشف الجانب الإنساني في الرواية ويبرز أهمية التضامن في مواجهة الأزمات.

2-3- شخصية مريم:

مريم هي زوجة الرينكو (علاوه)، كانت امرأة ماكثة بالبيت إلا أنها عانت الأمرين في ذلك البيت مع عائلة زوجها خاصة بعد مرضه وخروجه منه متوجها إلى العاصمة وغيابه عنها حوالي سنة، فقد كان أخوه الكبير يوبخها طوال الوقت «الأخ الأكبر كان يلتهم جسد زوجة أخيه بلا رحمة عينا ذنب كأنه

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 76.

² المرجع نفسه، ص 76.

يترصد لحظة ضعف وشيكة ... أنت يا بومة، يا وجه النحاس. أنت اللي شعلتي النار في البيت وحرقتنا جميعا.

تسكت مريم كأنه وضع يده في نقطة ضعف لم أتبينها في الحين ، تذرف دمعة ويدها على رأس الرينقو ...¹ فنجد أن مريم عرفت معاناة كبيرة سواء من طرف عائلة الزوج أو من الزوج نفسه، فبعد أن كان يعمل وكل أمورهم بخير تغير كل شيء بمرض الزوج فأصبحت عرضة للاتهام من طرف عائلته وأنها السبب في مرضه رغم ذلك بقيت بجانب زوجها في محنته وحاولت أخذه للأطباء للعلاج، فهي حاولت المساعدة بما تستطيع إلا أنها لا تنكر قسوتها عليه في بعض المرات وذلك لأنه كان بليدا بلا شخصية يترك أخاه الأكبر يتحكم به كما يشاء تقول مريم للطبيب النفسي: « كان للأخ الكبير القدرة على السيطرة المطلقة لا تخفي أبدا قسوتها على علاوة من قبل كونه رخوا بليدا ، ضعيفا أمام أخيه الذي يتصرف كيفما يشاء في البيت ولا يستطيع أبدا فرض رأيه أو فكرته او اعتراضه على قرار غير صائب... صحيح كنت أشتمه علنا أمام والدته ، ووالده المنحاز دائما ، عندما جاءته أول نوبة جنون ، كل أفراد العائلة استنفرت قواها لطردني من البيت ، كلهم ضدي يقولون أني السبب في جحيم يومي لا يطاق يا دكتور»² فهي من خوفها على زوجها و غيرتها عليه كانت توبخه الا ان هذا الأمر لم يعجب العائلة وسعى الكل لطردها و إخراجها من البيت غبر أنها بقيت من أجل زوجها.

2-4- شخصية سامية:

سامية هي ابنة الدكتور النفسي هشام عدي والمعلمة عبير كانت طالبة سنة ثالثة حقوق تقول: «لا أدري لم كل هذا الاصرار على كلية الحقوق، لكني مغرمة بالمحاماة، يا رب أحقق أمنية الوالدة»³ فهي تريد تحقيق أمنيتها و أمنية أمها في الوقت نفسه.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 82.

² المرجع نفسه، ص 85.

³ المرجع نفسه، ص 24.

شخصية سامية هي التي بدأ بها الكاتب "جيلالي عمراني" روايته "البكاء"، وذلك من خلال اتصالها بسفيان عبد الجليل تريد الالتقاء به في مكان ما يقول سفيان: «كنت واعيا جدا ومستيقظا ومهتما بالفعل ابنة صديقي في مكان ما في هذه الجهات الأربعة، هي بكل تأكيد تريد مساعدتي لها ، بالتأكيد لم تكن مكالمتها تلك بسبب روايتي الأولى التي لم أكتبها أبدا»¹ فسامية هي واحدة من الشخصيات الثانوية لأنها لم تؤثر على الأحداث كثيرا ، فهي تريد رؤية سفيان عبد الجليل لتقدم له وثائق كانت في مكتب أبيها الدكتور هشام عبيدي فقط ، تقول سامية «أتعرف يا أستاذ سفيان من بين الأشياء الثمينة التي وجدت في مكتب والدي ملفات خاصة جدا... الخ لأشهر كنت في صراع حقيقي إلى أن الهمني القدر أن أتصل بك لم أجد رقمك بسهولة... الخ لكن ذلك لم يمنعني من المجيء اليك لأضع الملف كاملا أمانة بين يديك ، تصرف كما يجب أن تتصرف في إرث يخصكم جميعا أنت و راس الكيلو والرينقو»² فهي بذلك حملته مسؤولية الاحتفاظ بملفات الدكتور لأنها كانت خائفة عليها ولم تجد مكانا آمنا لوضعها فيه غير سفيان عبد الجليل لأنه كان أحد مرضاه وورد اسمه في تلك الملفات كثيرا فهي وثقت به وحملته هذه المسؤولية دونا عن باقي الشخصيات لأنها رأت فيه الانسان الأمين الذي يستطيع حمل هذه الأمانة بصفته كان صديقا لوالدها ، كما أنها كانت على يقين بأن سفيان عن الجليل لن يخون صديقه وسيحافظ على وثائقه و مذكراته.

3- الشخصيات الهامشية:

هي الشخصيات التي لا تحتل موقعا مركزيا في الأحداث، ولا تقوم بدور رئيسي في تطور الحبكة لكنها تساعد في إبراز أدوار الشخصيات الرئيسية فهي شخصيات تظهر بشكل محدود في الرواية ويكون دورها مساعدا أو مكملا للأحداث دون أن تكون محور السرد يقول الناقد محمد غنيمي هلال بأنها

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 12.

² المرجع نفسه، ص 12.

«الشخصية ذات المستوى الواحد وتمثل صفة أو عاطفه واحدة وتظل سائدة بها من مبدأ القصة حتى نهايتها... هذا النوع من الشخصيات أيسر تصويرا لأن تفاعلها مع الأحداث قائم على أساس بسيط لا تكشف به كثيرا من الأعماق النفسية والنواحي الاجتماعية»¹ يرى محمد غنيمي هلال أن الشخصيات الهامشية ذات عاطفة واحدة أي أن هذه الشخصيات تبنى غالبا حول شعور واحد أو صفة نفسية تسيطر على سلوكها طوال العمل الروائي فهي لا تقدم بعمق نفسي كبير مثل الشخصية الرئيسية، بل تظهر وهي تحمل احساسا واحدا أو صفة محددة تلازمها، لذلك تبقى ملامحها بسيطة وواضحة ولا تمر عادة بتحولات نفسية كبيرة داخل الأحداث في رواية "البكاء" نجد بعض الشخصيات الهامشية التي لم تقدم بعمق نفسي كبير مثل:

3-1- شخصية والدة سفيان عبد الجليل:

تظهر هذه الشخصية في الرواية ذات حضور محدود، لكنها تحمل بعدا عاطفيا واضحا يتمثل في الحنان والقلق على ابنها هذا الذي يستنجد بها في كل مرة يقع في مشكل أو صراع مع زوجته مثل هذا المقطع: «أول نحيب متقطع يصل إلى باحة البيت، تسرع والدته إلى الغرفة لضمها، تحاول لملمة الموضوع في أول صراخ بينهما»²، و في هذا المقطع يقول سفيان عبد الجليل : « في وقت أبحث بصدق عن مسوداتي القديمة أستنجد بوالدتي لتبحث معي عن النسخة الأولى كانت الأم تجر جسدها النحيل بحثا في زوايا البيت ركنا ركنا»³ ، فوالدة سفيان عبد الجليل تمثل صورة الأم التي تخاف على ابنها من الاضطرابات و الأزمات التي يعيشها . لذلك يمكن القول أن عاطفتها الأساسية هي الأمومة و الشفقة وهذا ينسجم مع فكرة أن الشخصية الهامشية تكون غالبا مرتبطة بعاطفة واحدة واضحة.

¹ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، مصر، 1997، ص 565.

² جيلالي عمراني، البكاء، ص 146.

³ المرجع نفسه، ص 110.

3-2- شخصية سعيد الدق:

هو شخصية رجل تائر على الحال الذي وصلت اليه البلاد كان دائما يحاول أن يجمع الشباب ليقود مظاهرات ثائرة ومتمردة ليظهر موقفه تجاه ما يحصل : « كانت مدينة "ب" النائمة منذ الاستقلال تستنفر قواها بالضبط في المكان الذي كان السعيد الدق يتزعم تمردا فريدا وحوله شباب وأعيان القوم فرحين بزخمه السياسي وما سيقوله من تحليل لما آلت إليه البلد بسبب الندرة التي هزمتهم جميعا، تحولت تلك الحلقة الصغيرة إلى منصة لإلقاء المزيد من الخطب الحماسية فأخذت مجرى متصاعدا ملتهبا و حراكا سياسيا ¹ » هذه الشخصية كانت محبوبة لدى الجميع في المدينة لأنه كان يريد اصلاح الأوضاع بطريقته الخاصة غير أن الأمر لم يطل حتى وجد مقتولا ، دهسته شاحنة مجهولة ورحلت ، بموته عرفت المدينة مظاهرة كبيرة صامتة تطالب بالقصاص « كانت أمورنا شبه عادية مألوفة... إلى أن يسقط السعيد الدق ذات فجر في طريقه إلى قلب المدينة الهادئة يخرج فجرا من كوخه الهش ، يتناول قهوته الصباحية في مقهى المحطة في مكانه المعتاد والدائم ... قتل عمي السعيد تحت عجلات سيارة مجهولة أو شاحنة مأجورة بتلك الطريقة الفظيعة ليتحول المشهد المأساوي إلى مظاهرة صامتة تطالب بالقصاص ² »

شخصية السعيد الدق هي شخصية ثائرة من بداية ظهورها في الرواية حتى وفاتها فلم تتغير عاطفتها ولم تتبدل تجاه الأوضاع هذا ما جعلها من بين الشخصيات الهامشية في هذا المتن الروائي.

3-3- شخصية الرجل الحديدي (بلاندي):

هي شخصية مكروهة من طرف الجميع في المدينة و بخاصة السعيد الدق فقد كان هناك صراع بينهما ، الرجل الحديدي هو حارس البلدية ، و يظن نفسه الأمر الناهي على الجميع ، فكان يقول بأنه

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 161.

² المرجع نفسه، ص 202.

هو مجاهد سابق و على الجميع إطاعة أوامره إلى أن السعيد الدق كان متمردا ولا يقر بالرجل الحديدي و يرفض الانصياع لأوامره : « يدخل (س) المدعو الرجل الحديدي إلى المقهى ، بمسدسه الذي يتدلى من خاصرته كعنوان أبدي لشرعيته التي استمدها بقوة ساعديه وجهاده... يحرق في وجه السعيد الدق الذي سكت برهة استغل (س) صمت الجميع ليوجه إنذاره المبكر للسعيد وهو يقصد الجميع : ألا تسكت أنت ؟ يقف السعيد الدق في مواجهة قدره ثم يقول. عمك السعيد ما يسكتش، وما يخافش ميهريش وما يخونش بلادو وناسو يا الرجل الحديدي الطايوان»¹ فشخصية البلاندي كانت تتصف بالغلظة وحب التسلط الأمر الذي جعله محل نفور ورفض من كامل الناس في المدينة، ولم يكن على وفاق مع السعيد الدق لأن هذا الأخير لم يعترف بسلطته ولم ينصاع لأوامره، مما زاد حدة الخلاف بينهما وجعل العلاقة بينهما قائمة على العداء والتوتر إلى حد شكوك الناس بأن البلاندي هو من قتل السعيد الدق.

المبحث الثاني: السرد ودينامية العلاقات

إن طبيعة العلاقات بين الشخصيات هي شبكة التفاعلات القائمة بينها داخل النص الروائي والتي تسهم في بناء الحبكة، وتطور الأحداث و إبراز القيم والأفكار التي يعالجها الكاتب ، فهي الروابط التي تنشأ بين شخصيات العمل السردى سواء كانت روابط صداقة أو حب أو عداوة أو صراع أو تعاون، وهذه العلاقات هي التي تحرك الأحداث وتكشف أبعاد الشخصيات النفسية والاجتماعية ، فالشخصية في الرواية : « هي كل شيء بحيث لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقيمها الروائي فيها ، إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينها داخل العمل السردى »² فالشخصية هي التي تدفع القارئ للتفاعل معها أكثر من أي عنصر سردي آخر ونظرا

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 199، 198.

² عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص 76.

لأهمية هذا العنصر السردى في العمل الروائى ارتأينا دراسة شبكة العلاقات التي تسيطر على شخصيات رواية " البكاء".

1- سفيان وباية ونسيج المعاناة:

كانت العلاقة بينهما متأزمة مضطربة إلى حد كبير حتى أنه كره اليوم الذي التقى فيه بها وقرر الزواج منها وهذه المشاكل بدأت بعد أيام فقط من زواجهما يقول الطبيب هشام عبيد عن سفيان عبد الجليل أنه : « بعد شهر بحث عن منفذ ليصب جام غضبه دفعة واحدة ، ربما لاعتقاده أنها كانت السبب في القحط والعطالة التي دمرته شيئا فشيئا فيلجأ إلى الاستقزاز المعلن، أما هي فتختلق قصة الانشغال في باحة المنزل إما هروبا من الغرفة أو احتماء بالصمت وهي تغرق في طرز فساتينها الجديدة في ركن ما ، أو تسرح شعرها الطويل »¹ فالعلاقة بينهما غلب عليها سوء الفهم والانقطاع في التواصل. فبدل أنه تكون العلاقة مصدر طمأنينة تحولت إلى فضاء للقلق والاختناق يظهر ذلك في هذا المقطع «في الصباح تحدثني مجبرا أجلس قبالتها أو أسير خلفها، ليس حبا بل لأتصيد اللحظة المناسبة لتشتتها وتعنيفها، لأنها تحالفت معهم، تغضب جدا من تصرفاتي الغريبة. بحق لم تفهم هذياني المتشعب والتغيير المفاجئ في سلوكي»² سفيان عبد الجليل كان يعاني اضطرابات نفسية بسبب كتاباته وشخصه التي كان يراها كل ليلة تخرج من جهة تحاول الهجوم عليه وهو كان يظن أنه زوجته تساند هذه الشخص الخيالية، وباية من جهتها كانت تؤثر الصمت في مثل هذه النوبات التي كانت تجتاح زوجها وتحوله إلى وحش كاسر فهي كانت « ميالة إلى الصمت دائما، تحرقني باحتمائها بهواية صارت تتقنها: الصمت. تجد نفسها وذاتها داخل مملكتها المظلمة تلفها روائح الأدوية وتنفسي وهذياني أثناء هيجاني... ثم أدخل مرحلة الخوف، يداهمني حينها ضعف عام في نشاطي من فرط الأدوية الكثيرة التي أتناولها، فأتمدد

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 150.

² المرجع نفسه، ص 117.

خاويا بليدا...»¹، هذه الحالة أتعبت باية كثيرا لأنها لم تعش أيامها الأولى في الزواج ككل البنات وكما كانت تحلم.

اصطدمت باية بواقع مرير فيه من الأزمات والمشاكل ونوبات الهستيريا الشيء الكثير يظهر ذلك في هذا المشهد يقول الطبيب هشام عدي: «جاء سفيان عبد الجليل في الموعد رفقة زوجته باية المتعبة والمشوشة بمطالبه ورغباته التي لا تنتهي، ذبول حول جفنيها، وشرود كميزة تحاول إبرازه أو كنوع من الشكوى ... ليس تهويلا أبدا إذا قلت أنها تتألم بالفعل. قرأت الكثير في عينيها الشاردتين الملتبسيتين بعمى الألوان أو بالعمى الذي يحيط حياتها بالكامل من تفاصيل وصراخ يومي وموت تدريجي لكل حواسها تبدو أكبر من سننها الحقيقي»² فقد عانت الويلات مع زوجها المريض .

في هذا المقطع موقف واحد مما عانته باية مع زوجها «في يوم آخر عاد من العمل مفككا، تقاجأت به والشرر يتطاير من عينيه. هو الشخص الذي لم تعرفه من قبل. أنت نذير شؤم، مذ تزوجتك والمصائب من أمامي ومن خلفي... سيختفي البحر إن ذهب إلى.. تفوه...»³ صبرت باية كثيرا إلا أنها في بعض المرات لم تستطيع التحمل أكثر مثل هذا المقطع " أنا نذير شؤم يا حقير.. هل نسيت رسائل الشوق وأنت تترجاني، وأنت تكتب شعرا في جمال عيني؟ أنسيت عندما أوصدت في وجهك كل الأبواب والنوافذ وصرت تتوغل إلي وترسل لي وسطاء ثم اختفيت كأني جبان من إيفري ذات صيف؟ أنا نذير شؤم، أنا يا...؟ أنسيت عندما كنت تحبو وتترجاني لأقبل بك زوجا.. كنت لا شيء...»⁴، تمثل هذه العلاقة صورة مصغرة عن التمزق الداخلي الذي تعيشه الشخصيات في الرواية .

¹ جيلالي عمراني، البكاء ، ص 16.

² المرجع نفسه، ص 130.

³ المرجع نفسه، ص 156.

⁴ المرجع نفسه، ص 157.

البيت الذي يفترض أن يكون ملاذاً يتحول إلى امتداد للأزمة الخارجية، مما يعمق البعد المأساوي و يجعل العلاقة الزوجية انعكاساً لأزمة مجتمع بأكمله « وبذلك كانت الأسرة نتاجاً اجتماعياً يعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه، فإذا اتصف المجتمع بالثبات اتصفت الأسرة بالثبات، وإذا اتصف بالحراك والتطور تغيرت الأسرة بتغير ظروف تطور هذا المجتمع »¹ ونظراً للحالة المتأزمة للمجتمع في رواية " البكاء" فإن هذا بالضرورة انعكس على الأسرة وصارت تعاني من سوء المعاملة كالتعنيف والقهر...الخ.

2- المأساة. مسارات الألم ومحاولات الترميم:

كان هشام عبدي طبيب نفسي، وسفيان شخصية متأزمة نفسياً تعاني القلق والاضطراب والهواجس نتيجة مصادرة روايته لذلك كانت العلاقة بينهما علاقة علاجية يسعى فيها الطبيب إلى فهم أعماق سفيان لكن هذا الأخير لا يخضع بسهولة لتحليل الطبيب، بل يظهر مقاومة داخلية و رفضاً أحياناً لكل آرائه وتوجيهاته هنا تتحول العلاقة إلى نوع من المواجهة و اصطدام بينهما يقول عنه الطبيب: « يبدو من نطقه وحديثه بفخامة من النوع الذي يحتفي باسمه ومكانته ، بدت نرجسيته العالية من خلال ربطة عنق تأنقه المبالغ فيه »² لكن بالرغم من صفات سفيان التي تدل على نرجسيته إلى أن كان في بعض الأحيان يطبق أوامر الطبيب لأنه يريد الشفاء من مرضه الذي أرقه منذ مدة طويلة حتى أنه لم يكن في حاجة إلى وسيط بينه وبين الطبيب بل كان سفيان هو الذي يحكي مشاكله بنفسه دون تدخل أي طرف آخر و حتى زوجته.

في هذا المقطع يحكي للطبيب بعضاً من معاناته « لا أعرف، هذا ممكن، قد يكون الأمر صحيحاً الكتابة بالفعل علاج، أحسنت يا دكتور، لكن في وضعي الأمر مختلف تماماً الأدق ثمة قيود وهمية تكبلني. أعرف أنها أوهام لا غير لكنها تمنعني من الكتابة محاولاتي باءت بالفشل ولم يصدقني أحد...هي

¹ ضاوية بن قاسمي، تأزم العلاقات الزوجية في الأسرة الجزائرية كمتغير مهيكّل لظهور وانتشار العنف الجسدي ضد الأبناء، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية، 2016-10-09، <https://asjp.cerist.dz>، ص 201، 216.

² جيلالي عمران، البكاء، ص 101.

الحقيقة يا سيدي ، مأساتي تتلخص في أشباح تقلقني وتعذبني ليلاً ، زوار كثيرون يهددونني لو فعلت مجدداً ، زوجتي نفسها لم تعد تثق في قدراتي الكتابية «¹ سفيان كان يعاني كثيراً لأنه كان يتخيل شخوص روايته يخرجون في الليل من كل مكان ويحاولون الانقضاض عليه لكن الطبيب كان دائماً يحاول تهدئته وابعاد هذه الأفكار السوداوية عن مخيلته وإخباره بأن روايته التي كتبها كانت جيدة بل رائعة » أبداً بالعكس الرواية رائعة ، كنت مذهلاً الرواية مذهشة بأسلوبها المباشر الغني المحير في أكثر من تفاصيل المتن ، تغيرت سحنته فجأة ، أردته أن يكون سفيان الآخر، الواهم ، الحالم ... صدقني أريد في نهاية الأمر مساعدتك إن رأيت أنني غير قادر على ذلك فلك أن تغادر «² من هنا نلمح أن الطبيب حاول بكل استطاعته مساعدة سفيان للخروج من أوهامه وأوجاعه و يعود إلى الكتابة التي انقطع عنها لمدة طويلة بسبب مصادرة أوراقه ومسوداته من طرف الدرك ، ونظراً لطول مدة العلاج و محاولات الطبيب الكثيرة لمساعدة سفيان أصبح هذا الأخير يرتاح لتلك الجلسات العلاجية حتى أنه بدأ يخرج مع الطبيب إلى المقهى « و خارج ساعات الدوام عندما يخرج من عيادته يرافقني إلى مقهى المسرح الصغير، في كل الحالات نتحدث عن انهيار الذي سببه الخوف غير المبرر كنت سعيداً بذلك التطور الذي يحصل بعد الجلسات المريحة والمتعبة في آن ، وهو يأخذني بهدوء إلى غاباتي الكثيفة وأحلامي وكوابيسي، الآن فقط أقول له لكم أنا سعيد يا صديقي اليوم «³ فعلاقة سفيان عند الجليل مع الطبيب ليست مجرد علاقة مريض بمعالج بل هي علاقة صراع نفسي و فكري تكشف أبعاد المأساة الداخلية للشخصية وتبرز سردية الألم التي تقوم عليها الرواية.

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 103.

² المرجع نفسه، ص 132، 133.

³ المرجع نفسه، ص 14.

3- مأساة القلم والسلطة:

تنسم علاقة سفيان عبد الجليل و راس الكيلو بطابع صراعي يتجلى في مظاهر الكره و التوتر الدائم خاصة من طرف سفيان لأن راس الكيلو هو رجل الأمن الذي صادر مسودة روايته وبسببه أصبح سفيان مريضاً نفسياً وعانى الكثير بسبب هذا الفعل «الحالة التي آل إليها المثقف الجزائري في فترة العشرية السوداء التي عدت من أصعب الفترات التي عاشتها الطبقة المثقفة، فقد كانت من الفئات المستهدفة»¹ بالتالي فالمثقف عانى الكثير في فترة العشرية السوداء فاختفت الندوات وأغلقت المساحات الثقافية وتعرض المثقفون للتهديد، بل أحيانا للصلب القسري. لذلك فقدت الثقافة دورها التثويري والتغيير وتحوّلت إلى مجرد صدى خافت في مجتمع مثقل بالخوف وهذا الوضع عمق الطابع المأساوي، إذ لم يعد المثقف قادراً على التعبير بحرية فانعكس ذلك على الأدب الذي صار مشبعاً بالألم والقلق واليأس. في هذا المقطع مثال عن أزمة المثقف في فترة العشرية السوداء يقول: «عندما أوقفوني رغم أنني أحمل محفظة جلدية كأستاذ في أول المشوار... طلب مني أحدهم التوقف، ثم أوراقى الثبوتية، أما الآخر الطويل أخذ من يدي محفظتي، أمرني الدركي الشاب مرافقته حيث يجلس القائد داخل مركبة رباعية الدفع، أجد "راس الكيلو" يملأ الكرسي الجلدي بجوار كرسي القيادة والهاتف الخلي في يده اليسرى، يستلم الملف، يمرر الصفحات كأنه منظار حديث الصنع، رماها أخيراً في صندوق السيارة الداخلي، حرر وصل استلام بسيط قائلاً: سي سفيان عبد الجليل شم رائحة نتنة في مذكراتك، لذا سنحتفظ بها لأيام ثم نقرر، أتمنى أن لا علاقة لك بالمتظاهرين هيا...»² من هذا الموقف بدأت معاناة سفيان عبد الجليل الكاتب وكان كل مرة يذهب فيها إلى الدركي يختلقون سبباً لكيلا يرجعون له مسودة روايته إلى أنه وصل اليوم الذي طردوه فيه نهائياً وطلبوا منه عدم العودة لأن راس الكيلو تم تعيينه في مكان آخر

¹ نهيان هواوي، صراع المثقف في الرواية الجزائرية المعاصرة: رواية الشمعة والدهاليز للظاهر وطار أنموذجاً، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، المجلد 12، العدد 03، 2020، ص 806.

² جيلالي عمراني، البكاء، ص 111، 112.

وليس لهم كل المعلومات عن هذه القضية، هنا انهار سفيان تماما ولم يعد يخرج من المنزل يقول: «هي المرة الأولى التي عرفت فيها معنى العطلة المرضية. هو شعور بالظلم الكبير، دخلت مرحلة السبات لفترة طويلة»¹ نلمح أن علاقة سفيان براس الكيلو ليست علاقة شخصية عابرة بل هي علاقة مأساوية تكشف صراع المبدع مع السلطة، وتفسر جانبا مهما من مرضه النفسي وانكساره الداخلي فبمصادرة مسودة الرواية فإن هذا العمل لم يمس عملا أدبيا فقط، بل مس كيان سفيان وهويته ككاتب لذلك فالعلاقة بينهما هي علاقة خصومة عميقة، لأنها كانت سببا مباشرا في تقاوم اضطرابه النفسي ودفعه نحو العزلة والانطواء والتوتر الدائم.

4- بين الانكسار ومحاولة الترميم:

في البداية كانت العلاقة بين هشام عبيد والرينقو علاقة علاجية فهشام طبيب نفساني والرينقو هو المجنون «جنون يبقى أفضل من منطق المتسببين في مأساة المجتمع الجزائري»² لذلك يصبح الجنون أقل خطرا من عقل متشدد متطرف يبرر القتل باسم أفكار ضيقة، فالجنون حالة فردية لا تقصد الإيذاء بقدر ما تعبر عن معاناة داخلية، أما التطرف فهو فكر واع منحرف، يحول الإنسان إلى أداة للخراب و العنف و ما شهدته الجزائر خلال العشرية السوداء دليل واضح على ذلك حيث كان التطرف سببا في نشر الخوف و تمزيق المجتمع و سفك الدماء. فالجنون يؤدي صاحبه غالبا بينما التطرف يدمر مجتمعا بأكمله. في مرة من المرات أحضرت مريم (زوجة الرينقو) زوجها رفقة أخيه ليتلقى العلاج اللازم عند الطبيب النفسي يقول هشام: «كانوا ثلاثة والرابع مقيد بحبل، المكبل إلى جانب أنه طويل القامة أبدى مقاومة ولا يزال بتسمره المتكرر كلما حاولوا ادخاله بالقوة داخل بهو الشقة الذي يؤدي إلى قامة الفحص» هذه تعتبر أول زيارة للطبيب هشام.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 114.

² أمين زرواطي، رواية "مجنونة الجزائر" تكشف جزءا من حقيقة دفنت مع ضحايا مجزرة "بن طلحة"،

الرينقو لم يكن يعاني من اضطرابات نفسية فحسب بل هو مجنون بالكامل ، فهشام في البداية لما رأى حالته حاول تحويله إلى طبيب الأمراض العقلية لأن حالته معقدة جدا غير أن أخ الرينقو أصر على هشام أن يكشف عليه هو قائلا : « قصدناك أنت يا دكتور ، قيل لنا أنت وحدك قادر على شفاء أخي علاوة »¹ فتعامل هشام مع الرينقو بصفته طبيبا يسعى لفهم حالته ويحاول احتواءه لذلك اتسم موقفه بالتعاطف والصبر ، وتخفيف شعوره بالاضطهاد والعنف لكن مع تطور الأحداث تتقلب هذه العلاقة إلى توتر وصراع، وهشام بعد أن كان طبيبه يحاول علاجه أصبح عدوا للرينقو لدرجة أنه يريد قتله لأن أحدهم أخبر الرينقو بأن زوجته تخونه مع الطبيب هشام يقول هذا الأخير

«رأيت شبح الرينقو في تلك اللحظة الجحيمية قد وصل الى مدخل العمارة عاريا، وفي يده كل سكاكين الحارة ... بالتأكيد أحدهم وسوس في أذني الرينقو أو بتلميح ما أني الوغد الذي أغوى زوجته ... اللعنة عليك وعلى اليوم الذي رأيتك فيه»² من شدة خوف الطبيب هرب وبقي مختفيا لأيام في بيت راس الكيلو لأن هذا الأخير كان صديقه إلى أن يصل اليوم الذي يتلقى فيه الطبيب ضربة قاتلة من مجهول المرجح أنه الرينقو.

اتصل راس الكيلو بسفيان عبد الجليل قائلا : « ألو، اسمعني سيد سفيان أكلمك من مستشفى المدينة ، بكل أسف صديقنا المشترك هشام عدي أصيب بضربة قاتلة ، إنه بين الحياة والموت »³ الفاعل مجهول (مع احتمال أن يكون الرينقو المجنون هو من يقف وراء هذه الفعلة الشنيعة) غير أن بقاء الفاعل مجهولا يجعل القارئ في حالة شك دائم ، هذا يعكس جو الخوف الذي يطبع الرواية فمحاولة القتل تمثل ذروة العلاقة المتأزمة بين الطبيب ومحيطه سواء كان الفاعل الرينقو أم أن الرواية أرادت تعميم الاحساس بالخطر، فبالرغم أن الطبيب كان شخصا مسالما ومساعد للجميع إلى أنه لم يسلم من

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 81.

² المرجع نفسه، ص 32.

³ المرجع نفسه، ص 184.

الخطر و التهديد ما يدل أن المرض لم يعد واقعا فرديا بل أصبح مناخا عاما يشمل جميع فئات المجتمع حتى المثقفة منها.

5- لعنة الذكريات:

عندما دخلت مريم رفقة زوجها الرينقو عند الطبيب هشام شبهها هذا الأخير بسهى حبه القديم هذا ما جعله يتعدى بعض حدوده في التعامل معها يظهر ذلك في هذا المقطع: «أهلا سهى كأنها لم تسمع واصلت متحديا صمتها اللاذع: تفضلي سهى كيف هو علاوة اليوم؟ سهى! هل نسيت اسمي بهذه السرعة يا دكتور؟ لم أنس ، وما نسيتك لحظة ، صدقيني سهى رحيلك المفاجئ دمرني بعثرتني... بهتت لحظات ، هي تستمع بشكل جيد لكلماتي الساخنة كألجنة اللهب في فضاء الغرفة»¹ فالشبه بين مريم زوجة الرينقو وسهى الحب القديم للطبيب ، تحول عنده إلى وهم وأيقظ فيه مشاعر لم تندمل هنا يحدث الصراع فهو من جهة طبيب يفترض فيه الحياد المهني لكنه من جهة أخرى إنسان مثقل بذكريات حبه المفقود « فإن هذه الشخصية لا تستطيع التخلص من ذكرياتها »² وكانت في كل مرة تذهب إليه يشعر بفرح غامر ويقوم ببعض التصرفات الغير لائقة.

« كلما ظهرت مريم تلك قلبي يفرح ، كنت الطفل الذي يجد لعبته المفضلة ، أنا أيضا كنت أغير أحلق ذقني ، أغير بدلاتي ، صرت أعرف بالضبط متى تطل علي فأكون في غاية اللطف والرقّة والشعرية ، أتقرب دخولها المثير للزوابع الداخلية الكامنة ، بصدق تفرحني جدا طلتها المفاجئة في مساءات المدينة ، لم أتخلص من وهم التشابه الكبير ، قلبي يقول هي سهى »³ فالعلاقة اذن ليست علاقة حب مباشر بل علاقة إسقاط نفسي ، فهو يسقط صورة سهى على زوجة الرينقو ، فيعيش صراعا بين الماضي والحاضر ، وهذا يعمق البعد المأساوي في الرواية لأنه حتى الطبيب الذي يفترض أن يعالج الآخرين

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 86.

² فتحي بوخالفة، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2010، ص 188.

³ جيلالي عمران، البكاء، ص 85.

يصبح هو نفسه أسير جراحه الداخلية إلا أنه فيما بعد مع تواصل الأحداث يتفطن ويستوعب خطأه ويطردها من عيادته لأنها أخبرته أنها حامل لكن ليس من زوجها الرينكو فالطبيب على علم بأن زوجها لا يقربها بل هي حامل من شخص غريب يقول هشام:

«كرهتها أشم عهرا يفوح به عيادتي لم تكن أبدا في يوم من الايام سهى الصغيرة أبدا ليست هي... هي مريم مجرد عاهرة، اكتفيت بإشارة يدي الثقيلة المتشنجة: أخرجي... كيف حصل أعرف أن الرينكو لا يقربها أبدا كيف؟»¹ هذه الصدمة هي التي أرجعت الطبيب إلى رشده وصوابه وخرج من الحالة المتأزمة التي كان فيها.

المبحث الثالث: تمثلات المأساة

تعد الرواية فضاء رحبا لتجسيد التجربة الإنسانية بكل تعقيداتها النفسية والوجدانية، فهي لا تكتفي بسرد الأحداث بل تتوغل في أعماق الشخصيات لتكشف عن صراعاتها الداخلية وما يعتريها من مشاعر متباينة ومن بين أبرز الانفعالات التي تمنح العمل الروائي طابعة المأساوي والدرامي نجد العنف، الألم، الحزن والخوف وغيرها من الأحاسيس التي تشكل البنية النفسية للشخصيات وتوجه مسارها داخل النص. إن حضور هذه العناصر لا يأتي اعتباطيا، بل يرتبط بطبيعة السياق السردى والظروف الاجتماعية أو التاريخية التي تتحرك فيها الشخصيات مما يجعلها تعيش حالات من التوتر والاضطراب والصراع الداخلي، وعليه فإن دراسة هذه المظاهر الشعورية تمكننا من فهم أعمق لبنية الرواية ولمسار تطور الشخصيات، وللدلالة العامة التي يسعى الطالب إلى إبرازها. من هذا المنطلق سنحاول في هذه الدراسة الوقوف عند مفهوم كل عنصر من هذه العناصر، ثم الكشف عنه داخل رواية "البكاء".

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 140.

1- الألم:

الألم هو حالة شعورية نفسية تعبر عن معاناة الإنسان نتيجة ضرر جسدي أو صدمة نفسية أو تجربة قاسية يعيشها، وهو إحساس داخلي يتراوح بين المعاناة الجسدية الملموسة والمعاناة المعنوية المرتبطة بالحزن والفقد والخذلان والاحباط «الألم نوعان: جسماني ونفساني. فالألم الجسماني ينشأ من احساسات جسمانية ذات مصدر محدود ، كاحتراق اليد ، ووجع العين والألم النفساني ينشأ من تأثير الميول والأفكار والاعتقادات والآراء... الخ ومن خواص الألم النفساني أنه قد يشتد حتى يصبح قريبا من الانفعال أو الهيجان كما يشمل الحزن والكتابة والغم»¹ فالألم هو إحساس نفسي أو جسدي ينتج عند التعرض لمعاناة أو أذى ، و قد يكون مرتبطا بالحزن و الخوف و فقدان كما قد يكون ناتجا عن إصابة جسدية ، و يعد الألم تجربة إنسانية تعبر عن المعاناة الداخلية التي تؤثر في مشاعر الفرد و سلوكه و نظرته إلى الحياة.

في المجال الروائي يعد الألم عنصرا أساسيا في بناء الشخصية، إذ يكشف عن عمقها الانساني ويبرز صراعاتها الداخلية، فالشخصية المتألّمة غالبا ما تكون في حالة توتر دائم، ويؤثر ألمها على قراراتها وسلوكها مما يساهم في تحريك الأحداث وإضفاء البعد المأساوي على النص.

من خلال تجليات الألم سواء في صورة حزن عميق أو إحباط أو شعور بالذنب تتشكل ملامح البعد المأساوي للنص، ويعزز الطابع الدرامي للسرد، وهكذا يصبح الألم عنصرا يساهم في بناء الشخصية وتطورها ويمنح الرواية عمقا انسانيا يجعل القاري يتفاعل مع معاناة الأبطال ويفهم دوافعهم وسلوكهم.

في رواية " البكاء " يتخذ الألم بعدا مركزيا يتجاوز معناه العام بوصفه مجرد إحساس بالمعاناة ليصبح محورا نفسيا وسرديا تتحرك حوله الشخصيات والأحداث، فالألم هنا ليس لحظة عابرة بل حالة

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، لبنان، 1982، ص124، 125

دائمة تسكن الشخصيات ومثال ذلك هي "باية البكاء" زوجة سفيان عبد الجليل فهي شخصية تعاني الألم الشديد نتيجة زواجها من رجل مريض نفسياً مثال ذلك في هذا المقطع «تلعن يوم قبولها الزواج من مجنون يدعى سفيان الذي حول يومياتها إلى جحيم وقصاصات وأفكار سخيفة»¹. فهذه الشخصية كانت تعاني كثيراً مع زوجها وهواجسه الكثيرة والمباغثة في أغلب الأحيان كان يصب جام غضبه عليها وهي تكتمني بالصمت والهروب من مكان تواجد «بعد شهر بحث عن منفذ ليصب جام غضبه دفعة واحدة، ربما لاعتقاده أنها كانت السبب في القحط والعطالة التي دمرته شيئاً فشيئاً، فليجأ إلى الاستفزاز المعلن، لا تمنحه الفرصة كاملة إذ تتبرم من ثقل كلماته السمجة، فتتفر من وجهه... فتختلق قصة الانشغال في باحة المنزل إما هروباً من الغرفة أو احتماء بالصمت»² هكذا يصبح الألم في "البكاء" عنصراً مهماً يكشف هشاشة الإنسان حين يواجه واقعا قاسياً يفوق قدرته على التحمل هذا ما يرسخ سردية المأساوي في الرواية.

1- العنف:

العنف في الرواية هو تمثيل سردي لأشكال الإيذاء أو القهر أو الصراع الذي تمارسه شخصية على أخرى ، سواء كان هذا الإيذاء جسدياً أو نفسياً ، و هو عنصر يساهم في بناء الحدث الروائي وتطوير الشخصيات ويكشف عن طبيعة العلاقات المتوترة داخل النص « فهو سلوك فعلي أو قولِي يستخدم القوة أو يهدد باستخدامها لإلحاق الضرر والأذى بالذات أو بالأشخاص الآخرين ، وتخريب الممتلكات للتأثير على إرادة المستهدف »³ و للعنف في العمل الروائي وظائف فنية ودلالية متعددة منها أنه يعمق البعد المأساوي للأحداث ، و يبرز الصراع الداخلي والخارجي للشخصيات كما أنه يعكس الواقع الاجتماعي المتأزم داخل الرواية ويكشف هشاشة الإنسان أمام السلطة أو الظروف ومن أبرز مظاهر العنف في

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 153.

² المرجع نفسه، ص 150.

³ عبد الجاسم الساعدي - العنف السياسي، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013، ص 19.

"البكاء" هو تعنيف سفيان عبد الجليل لزوجته باية كما يظهر في هذا المقطع « في آخر يوم ، عاد من العمل مفككا ، تفاجأت به والشرر يتطاير من عينيه ، هو الشخص الذي لم تعرفه من قبل : أنت نذير شؤم توترت أمام ما رأيت وما سمعت عن سفيان الهمجي ، يتحرك كالأهوج ، لا تعرف رأسها من قدميها... ازداد تماديا صوته يصل إلى باحة البيت : حقيرة أنت... أنت... بلع جملا أخرى أكثر وقاحة ، أنصاف كلمات و رموز و اتهامات متتالية ، يتدخل أخوه الأصغر وفي يده سوط ، مهددا إياه بالخروج و إلا...أخرج يا جبان، يا... قالت بايه أخيرا وكلت عليكم ربي، أنتم زوجتموني مجنونا لا يرحم..»¹ هذا المقطع يبين بشكل واضح و جلي معاناة باية مع زوجها.

في موقف آخر نجد تصرف عنيف من أخ الرينقو تجاه زوجة أخيه (زوجة الرينقو) لأنه وكل العائلة كانوا يتهمونها بأنها هي السبب وراء مرض زوجها الرينقو يقول لها في هذا المشهد «أنت سبب جنونه، يجيب بحزم أنت بومة، ياوجه النحس، أنت اللي شعلتي النار في البيت وحرقتنا جميعا»² من هنا يصبح العنف في "البكاء" ليس مجرد حدث عابر، بل هو أداة لكشف الواقع المضطرب للشخصيات ومنه تعميق الإحساس بالمأساة وجعل البكاء رمزا لانكسار الذات أمام قسوة الواقع.

2-الخوف:

الخوف في الرواية هو عنصر نفسي وسردي يعبر عن حالة القلق والتهديد التي تعيشها الشخصيات داخل العالم الروائي، فهو لا يكون مجرد شعور عابر بل يتحول إلى قوة تدفع بالشخصيات إلى تحريك مسار الحكاية « الخوف هو انفعال نفساني يعرض عن تصور شر قريب الوقوع، قال مسكويه: " الخوف يعرض عن توقع مكروه وانتظار محذور، والتوقع والانتظار إنما يكونان للحوادث في الزمان المستقبل " وللخوف درجات متفاوتة الشدة أدناها الخشية (Crainte)، وأعلاها الذعر (Panique) وشدة الخوف

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 156.

² المرجع نفسه، ص 82.

تكون في العادة متناسبة مع عظم المكروه المتوقع¹ فالخوف هو شعور نفسي ينتاب الإنسان عند الإحساس بالخطر أو التهديد ، فيدفعه إلى الحذر ومحاولة حماية نفسه.

في رواية "البكاء" يتخذ الخوف بعدا وجوديا ونفسيا عميقا، لأنه مرتبط بسياق متأزم يعكس أجواء العشرية السوداء في الجزائر فيتحول إلى حالة جماعية تطبع جميع شخصيات الرواية، يتجلى الخوف في اضطراب الشخصيات وتحركاتها في المتن الروائي نجد أولا شخصية سفيان عبد الجليل الذي يخاف من خروج شخوص روايته فكان كل ليلة يتخيل شخوصا ورقية تخرج من الرواية يقول: « هم ، صدقني... شخصيات ورقية خرجت من السطر الأخير من مذبج كبير سلخهم الكاتب الشبح ، نعم هي شخوص ورقية ، خرجت من صلب الكلمات ، من السطر الأخير، أراها تتشكل في هياكل عظمية تم تتحدث بإسهاب عن حقارتي و نذالتي، لم ترحم هشاشتي تلك و أنا تحت الأغشية ، أرتعش بردا وخوفا ، رأيتهم من لحم ودم :جعفر على رأس الكتيبة ، بالمناسبة هو مصاص دماء حقيقي »² هذا الخوف أثر كثيرا على حياة الكاتب سفيان حيث أنه صار عنيفا مع الجميع حتى أقرب الناس اليه زوجته باية لأن هذا الخوف هو الذي كان يتحكم به و بتصرفاته فأصبح كل من يحيط به أو يخالطه في حالة أزمة جراء حالته تلك .

نجد إحساس الخوف عند الطبيب هشام كذلك فقد كان خائفا من تهديد الرينقو له الذي يحاول قتله فنرى أنه حتى الطبيب النفسي في حالة قلق و خوف مستمرين يقول هشام : « أتدحرج في شارع ستراسبورغ هروبا من عيون المارة أو معارفي قد ألتقي بهم وأنا في حالة موت محتملة قد يلغون القبض عليا تسهيلا لأمر المحاكمة الشعبية لطبيب لم يحترم أخلاقيات المهنة... الإنسان لا الطبيب الذي ينصح عادة مرضاه بالوقوف الند للند أمام الخوف للتصدي لحالات مشابهة ، كم هو سهل أن نتحدث مع

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ص 545.

² جيلالي عمران، البكاء، ص 117.

الأخرين نظريا «¹ نجد أن الخوف كان منتشرا بشكل كبير بين أفراد المجتمع لأن انتشار الجماعات المسلحة والقتل العشوائي بدأ يزيد يقول هشام : « كنت أسمع عنها من خلال أنباء التلفاز عن الجماعات المسلحة التي استوطنت بعض المناطق الجبلية ، عن المجازر التي اقترفتها جماعات إرهابية بين الحين والآخر ضد مواطنين عزل «² فكانت أخبار القتل تتناقل هنا و هناك هذا ما جعل الخوف والرعب يسيطر على الناس وعلى تصرفاتهم يقول: « وقعت أمام سريري تخبرني بما حصل في ضواحي مدينة الشلف ، في الأضرحة بالقتل الجماعي الذي مارسته جماعات متطرفة... كنت أصغي باندعاش لتلك الأحيات أو الوقائع المدمية «³ فالخوف ارتبط ارتباطا وثيقا بالألم النفسي للأفراد فولد ردود أفعال عنيفة و انهيارات نفسية كالتخيلات و الأمراض النفسية و الجنون مما عمق الطابع المأساوي للرواية.

3- الأمراض النفسية:

تبرز رواية "البكاء" حضورا واضحا للأمراض والاضطرابات النفسية التي تصيب الشخصيات، حيث تبدو أغلبها واقعة تحت ضغط نفسي شديد نتيجة الأزمة التي اجتاحت البلاد وانتشار الجماعات المسلحة أو الظروف الاجتماعية القاسية التي تعيشها، وتظهر هذه الاضطرابات في مجموعة من الحالات النفسية مثل التخيلات والهواجس، الخوف والهلع وحتى الجنون وهي عناصر تسهم في تعميق البعد المأساوي في الرواية.

فمن جهة أولى تعاني بعض الشخصيات من التخيلات والهواجس التي تجعلها تعيش حالة من القلق الدائم وعدم الاستقرار النفسي، فالهواجس تدفع الشخصية إلى الشك في الآخرين وتوقع الأخطار باستمرار، حتى وإن لم تكن موجودة في الواقع ، هذا ما يجعل الرواية مليئة بالتوتر والاضطراب النفسي و هذا ما نلمحه في شخصية الكاتب سفيان الذي كان يتعذب بسبب زوار الليل وهم شخوص روايته

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 35، 36.

² المرجع نفسه، ص 64.

³ المرجع نفسه، ص 174.

الذين كان يتخيلهم يزورونه في كل ليلة و يخرجون من كل مكان بالبيت يظهر ذلك في هذا المقطع يقول عنه الطبيب هشام : « سفيان عبد الجليل يتوهم قتلة يتعايشون معه في غرفته ، كل ليلة يراهم ملء العين في ظلمة دامسة ، يعيشون فسادا في غرفته في أوراقه يتفننون في تعذيبه »¹ هذه الحالة النفسية بدأت عند الكاتب منذ أن صدر رجال الدرك أوراق مسودة روايته "جرائر" لتنتشر فيما بعد بعنوان "جرائر" لكن المحتوى كان مختلفا عما كتبه سفيان عبد الجليل منذ أن وقعت له هذه الحادثة وهو في حالة نفسية كارثية يقول : « بدأت معاناتي الكبيرة بعد نشر هراهم ذاك الموسوم ب " جرائر " مع صورتي في الغلاف بالأبيض و الأسود ، لا أعرف من أين حصلوا عليها »² فهو من جراء هذا الفعل توقف عن الكتابة و انعزل عن الناس و دخل في دوامة من التخييلات و الهواجس.

حتى الطبيب هشام عبدي لم يسلم من هذه التخييلات، فبالرغم من كونه طبيبا نفسيا إلا أنه كانت له تخيلات هو كذلك نلمح ذلك من تشبيهه لمريم زوجة الرينكو التي كانت تأتي إلى العيادة من أجل معالجة زوجها إلا أن الطبيب كان يناديها "سهى" لأنه شبهها بسهى حبه القديم مثل هذا المقطع الذي جاءت فيه لأخذ وصفة زوجها يقول لها هشام: «أهلا سهى، تفضلتي... صدقني يا دكتور هشام. أنا لست سهى، أنا مريم التعيسة، ممكن أشبه سهى، ممكن جدا، أصدقك لكني في نهاية الأمر أنا مريم زوجة علاوة...صدقني أسفة سيدي إن سببت لك كل هذا الألم»³ كان الطبيب يستحضر في ذهنه صورة حبيبته القديمة سهى، هذا يدل على أنه لم يتجاوز تجربته العاطفية السابقة وأن الماضي مازال يسيطر على مشاعره ووعيه، كما يعكس هذا التخييل حالة من الحنين والفرغ العاطفي الذي يعانيه الطبيب فيسقط مشاعره القديمة على شخصية أخرى تشبهها في ملامحها أو حضورها.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص50.

² المرجع نفسه، ص115.

³ المرجع نفسه، ص 87.

وبذلك يصبح الخيال وسيلة يهرب بها من واقعه، ومن جهة أخرى يبرز هذا التخيل ضعف التوازن النفسي لدى الطبيب، إذ أن الشخص الذي يفترض أن يكون أكثر وعياً بالحالات النفسية يقع بدوره في فخ الوهم والخيال، هذا ما يضيف للرواية بعداً نفسياً عميقاً ويظهر الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصية بين الواقع والذاكرة والخيال مما يعزز الطابع المأساوي في الأحداث. بالإضافة إلى التخييلات والهواجس لدينا انتشار الرعب والهلع كذلك بين شخصيات الرواية كما يظهر في هذا المقطع وهو خوف الطبيب هشام من الرينقو، هذا الأخير، الذي كان يحاول قتله «لم أجد ثقب الباب هل هو بسبب الهلع أم هو العمى الذي فاجأني في صباح ديسمبري بارد جداً؟ وبرد مدينة البويرة يقطع أوصالنا... فوراً... فوراً... فوراً حركة يدي المرتعشة لم تساعدني على تجاوز المشكلة، قدراتي شبه معطلة للملحة كل الصور والأحداث، ثم تركيبها قبل وصول قاتلي المدمج بالسلاح ومعه كل أفراد القبيلة... تباً» بسبب هذا الموقف أصبح الطبيب مرعوباً في كل أوقاته يقول: «تتحول ليلياتي إلى سلسلة متصلة من الخوف والترقب والاختباء وإطفاء التلفاز... اللحظات تعيسة والفجر بعيد بعيد...» هنا نلمح انعدام الاستقرار والأمن أثر على الجميع فلم يسلم لا الإنسان البسيط ولا المثقف من تدهور الحال في البلاد وهناك من وصل به الحال حد الجنون مثل الرينقو فقد كان موظفاً بالسجن إلا أنه جن من هول ما رآه من مجرمين وإرهاب ألقى عليهم القبض فلم يتحمل كل تلك القصص والحكايات المرعبة حتى جن وفقد عقله تماماً « فالجنون هو الخلل العقلي الشديد وقيل هو زوال العقل أو فساده تقول جن جنونا : زال عقله » هذا ما حدث للرينقو يقول هشام عنه لما زاره للمرة الأولى: « يرتدي معطفاً رمادياً ، ممزق الأكمام كان هزيراً منكشاً بعينين جاحظتين مخيفتين لا تتوقفان عن الحركة السريعة يمنة و يسرة ، والزوجة تتحايل لفك القيد المحكم تارة وتارة أخرى تمرر منديلها الأزرق على شفثيه المتورمتين وقد بدأ اللعب واضحاً من طرفي الشفتين المشققتين من فعل البرد القارص » فوضع الرينقو يظهر أقصى درجات الاضطراب النفسي حيث تتحول المعاناة النفسية المتراكمة إلى حالة فقدان للتوازن العقلي .

شخصية الريفقو تمثل صورة واضحة لتأثير الضغوط النفسية عليها مما يعكس عمق الأزمة التي يعيشها الانسان في عالم الرواية، وهكذا فإن انتشار هذه الأمراض النفسية في الرواية لا يأتي عرضاً، بل يسهم في تعميق سردية المأساوي إذ تكشف هذه الحالات عن معاناة الشخصيات وصراعها النفسي، مما يجعل العالم الروائي مشحوناً بالألم والقلق والاضطراب.

ختاماً، أتاح لنا هذا الفصل الوقوف على البعد الذاتي لشخصيات الرواية، والكشف عن ملامحها النفسية والاجتماعية في ظل واقع مأساوي طبعته أجواء العشرية السوداء، كما أبرز هذا الفصل طبيعة العلاقات المتوترة والمأساوية التي جمعت بين الشخصيات، حيث تشكلت في إطار يسوده الخوف والعنف وفقدان الاستقرار، الأمر الذي انعكس في انتشار مظاهر القلق والانكسار والأمراض النفسية، وقد بينت هذه العناصر مجتمعة كيف استطاعت الرواية تصوير معاناة الإنسان في تلك المرحلة، وتجسيد أثر المأساة في أعماق الشخصيات وعلاقاتها، بما يمنح النص بعداً إنسانياً ونفسياً عميقاً.

الفصل الثاني

المجتمع والسرد المأساوي

المبحث الأول: الزمن والسرد المأساوي

1-الاستباق:

2-الاسترجاع:

3-الايقاع الزمني:

المبحث الثاني: الفضاء والسرد المأساوي.

1- الأماكن المفتوحة:

2-الأماكن المغلقة:

المبحث الثالث: المظاهر الاجتماعية والسرد

1-العزلة وانكماش الحياة الاجتماعية:

2-تغير أدوار الأسرة:

3- انتشار الأمراض النفسية:

4-تضرر الحياة الثقافية:

يعد تحليل البنية السردية مدخلا أساسيا لفهم الأبعاد العميقة للنص الروائي، إذ لا تقتصر الرواية على نقل الأحداث بل تتجاوز ذلك إلى تشييد عالم دلالي تتفاعل فيه عناصر الزمن والفضاء مع التحولات الاجتماعية والنفسية التي يعرفها المجتمع.

من هذا المنطلق يأتي هذا الفصل ليتناول جملة من المكونات السردية التي أسهمت في تشكيل الخطاب الروائي وفي مقدمتها الزمن السردى والفضاء السردى بوصفهما ركيزتين أساسيتين في بناء المعنى وتوجيه مسار الأحداث.

فالزمن السردى لا ينظر إليه باعتباره تسلسلا كرونولوجيا للأحداث فحسب، بل هو بنية فنية تتداخل فيها تقنيات متنوعة لعكس اضطراب الواقع وتوتره خاصة في سياق تاريخي مأزوم.

أما الفضاء السردى فإنه يتجاوز كونه إطارا مكانيا محايدا ليغدو فضاء دلاليا مشحونا بالإيحاءات، يعكس بدوره تحولات المجتمع، ويترجم حالة الانغلاق والخوف التي خيمت على الأفراد سواء في الفضاءات العامة أو الخاصة.

ولا يمكن فصل هذه العناصر السردية عن السياق الاجتماعى الذي تنبثق منه إذ شهد المجتمع خلال فترة العشرية السوداء جملة من التحولات العميقة التي مست بنيته النفسية هذا ما انعكس بشكل واضح على المتن الروائى.

المبحث الأول: الزمن والسرد المأساوي

الزمن السردى هو البنية الزمنية للرواية والطريقة التي ينظم و يقدم بها الزمن داخل النص، أي العلاقة بين الحكاية (كما وقعت في تسلسلها المنطقي) وزمن السرد (الكيفية التي يختار بها الراوي عرض الأحداث داخل النص) فهو « العلاقة بين زمن الخطاب وزمن القصة»¹ وهو الزمن السردى الذي يتحكم فيه السارد قصد بناء الدلالة وتوجيه تلقي القارئ للأحداث «السمة الثانية التي يجب أن تميز الرواية كما حددها «باختين» فهي أهمية الانتقال والتغيير في تصوير الزمان، وضرورة التعبير عنه في العمل الروائي ضمن خطوط بيانية تكشف هذا التغيير، فالزمان في العمل الروائي يمارس حضوره الدائم وهو انعكاس لحركة المجتمع والأحداث والشخصيات²، الزمن في الرواية ليس مجرد اطار للأحداث ، بل عنصر فاعل يعكس حركة المجتمع ، وتحول الشخصيات ، ويمنح النص عمقه الدلالي والجمالي فهو يمارس حضوره الدائم حتى ولو لم يذكر صراحة ويؤثر في كل شيء ولا توجد رواية بلا زمن منه» فإن بداية النص السردى لا تعني دائما أنها بداية الحكاية ،فغالبا ما يلجأ السارد الى اختيار لحظة زمنية معينة يبتدأ بها نصه ، ومن هذه اللحظة يتحدد حاضر القصة الذي يعد المستوى باتجاه الماضي أو المستقبل»³

ومن هنا ظهر شكلين بارزين للزمن السردى هما: الاستباق والاسترجاع.

¹ عبد الحكيم المالكي، تحليل الخطاب السردى تطبيقاً، تالا للنشر، ط1، ليبيا، 2023، ص10.

² فيصل الأحمر، نبيل دادوة، الموسوعة الأدبية، ج2، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص362.

³ نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وأليات تشكيله، ط1، الأردن 2010، ص (46-47).

1-الاستباق:

هو تقنية سردية زمنية يقوم فيها الراوي بتقديم حدث سيقع في المستقبل قبل ان يحين زمنه في تسلسل الحكاية، أي أن السرد يسبق مجرى الزمن الطبيعي للأحداث «طبيعة الاستباقات منها ما يرتبط بالحلم،ومنها ما تمثل رؤية احتمالية لما سيكون،أو لما يجب أن يكون»¹ ففي الاستباق بعد قدر الأحداث فهو خرق زمني يقدم المستقبل داخل الحاضر السردى ويستعمل لخدمة البنية الدرامية والدلالية للنص.

وفي رواية " البكاء " نجد الاستباق في المقطع التالي لسفيان عبد الجليل وهو متحمس للقاء سامية ابنة الطبيب هشام عبي « فكرت في الموعد ، فكرت في المشوار الصباحي الذي س يحملني اليه القدر صباح اليوم التالي، تراءت لي سامية في أبهى صورة ألتقيها. لن تكون ابنة هشام عبي إن لم تكن جميلة وأنيقة وشاعرة كما كان يحلم دائما بكتابة ديوان شعري يمدح فيه جمال زوجته «عبير» التي يذكرها بكل خير في لقاءاتنا الكثيرة»² هذا اللقاء هو الذي بدأ به الكاتب روايته فهو كان استباق لجميع الأحداث التي جاءت في الرواية .

فأصبحت الرواية كأنها استنكار لما حدث سابقا ، نجد مثلا آخر للاستباق في هذا المقطع لسفيان عبد الجليل كذلك وهو يتحدث مع الطبيب هشام عبي « أعرف في النهاية الأمر أنك ستكتب الوصفة والأدوية التي تدمر هيجاني القادم الذي أدخله بعد أيام ، حتى باية رافقتني في هذا الوقت بالذات احترازا لما هو قادم ، أعرف يا دكتور أنني أنهيج قريبا ثم أعنفها ، وأكيل كل اللذين أعرفهم الكثير من السخط

¹ لونيس بن علي، الفضاء السردى في الرواية الجزائرية، ص131.

² جيلالي عمراني، البكاء، ص13.

والشتم ، أثرثر أضعاف الصمت الذي لازمني طيلة شهرين ، أعرف نفسي جيدا¹ فنظرا لتفاقم حالة سفيان ووصوله لحد اليأس من حالته، فهو لم يعد يرى في العلاج وسيلة للشفاء بقدر ما أصبح إجراء شكليا يلامس عمق معاناته ، فهذا الموقف يكشف عن فقدان الثقة في قدرة الطب على احتواء أزمته ، كما يعكس بالعجز أمام اضطرابه الداخلي المتفاقم، غير أن هذا اليأس لا يبدو سطحيًا بل هو يأس نابع من وعي مأساوي بحقيقة حالته، ويظهر هنا الاستباق بوصفه آلية نفسية ، حيث يستبق سفيان نتائج العلاج ويحكم مسبقا بعدم جدواه لأنه يدرك أن معاناته تتجاوز حدود الدواء لتصل إلى أبعاد نفسية مما يجعل ألمه غير قابل للاحتواء .

المقطع التالي كذلك مثال عن الاستباق وهو لما حاول الطبيب هشام عبدي الهروب من الرينقو والذي كان يحاول قتله «صديقي، كيف تصدق أنني عشيق مريم أو راودتها عن نفسها؟ طبعًا هذا مستحيل»² يتجلى الاستباق في هذا المقطع برد فعل الطبيب فيسبق الأحداث ويتخيل ما قد يحدث بينهما فيستحضر في ذهنه محادثة مفترضة تكشف عن توتر العلاقة وخطورة الموقف، هذا الاستباق لا يعكس فقط خوف الطبيب بل يدل على قلق داخلي عميق يجعله يعيش الحدث قبل وقوعه ، وكأن المستقبل حاضر في وعيه « فالانتقال من الزمن الحاضر الى الزمن المستقبل هو ما يسمى بالاستباق»³. الطبيب في هذا الموقف استبق ما قد يحدث قبل حدوثه، وكأن ذهنه انتقل الى المستقبل واستحضر نتائجه مسبقا. هذا الاستباق نابع من حالة القلق والتوتر التي يعيشها مما يعكس اضطرابه النفسي ويضفي على السرد طابعًا مأساويًا، اذ يجعل القارئ في حالة ترقب لما قد تؤول اليه الأحداث.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 108.

² المرجع نفسه، ص 34.

³ أمين خروبي ، تقنيات الزمن الروائي دراسة في المفارقات الزمنية والايقاع الزمني، مقامات الدراسات اللسانية والادبية والنقدية ، الرقم 02، <https://asjp.cerist.dz> 2019/12/01 ، ص 20-21.

2-الاسترجاع:

هو عودة السرد إلى أحداث ماضية سابقة للحظة الزمنية التي بلغها السرد ، أي أن الروائي يتوقف عن الحاضر ليحكى ما وقع في الماضي «الاسترجاع أو الفلاش باك (Flash-Back) مصطلح روائي حديث يعني الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب، وقد سيق هذا المصطلح من معجم المخرجين السينمائيين، حيث بعد إتمام تصوير المشاهد يقع تركيب المصورات فيمارس عليها التقديم والتأخير دون أن يكون بعض ذلك نشازا طالما يظل الاطار الفني لعرض القصة محترما»¹ فبالعودة إلى الماضي يتم استحضار الذكريات بمدلولاتها النفسية المؤثرة على الشخصية، وهذا يؤدي إلى خلق انفعال نفسي عميق يأخذ بالشخصية إلى تلك المرحلة وفي هذا كشف لخلفياتها وفهم لتصرفاتها وانفعالاتها وذلك من خلال ربط الأحداث الماضية بالحاضر فهذا يعطي النص بعدا فنيا ويجعل السرد أكثر تنوعا وثراء مثل هذا المقطع لسفيان عبد الجليل « باغتتني فجأة صدى تلك القصص والحكايات و الحوارات وتلك الأشباح تحاصرني من كل الجهات، عاودتني تلك الأيام المرعبة بثقلها وزخمها بشكوك وهذيان شخصيات حقيقية وأخرى ورقية، الأمر لم يكن سهلا على شخص عانى من لعن الذكريات والأسس « سامية أعادتني إلى نقطة الصفر إلى المربع الأول، بالضبط حيث كنت قبل عقدين من الزمن ربما إلى لحظة ميلادي ككاتب ناشئ نشر قصصا قصيرة»² تجسد هذه الفقرة تقنية الاسترجاع " فلاش باك" بوضوح، حيث يعود السارد من زمن الحاضر إلى زمن ماض عاشه ليستحضر أحداث وتجارب سابقة ، هذا الاسترجاع لم يكن مجرد تذكر عابر ، بل كان وسيلة لفهم الحاضر وتفسيره ، إذ أعاد بناء تلك الأحداث في ذهنه ليكشف حقيقتها ويبرز أثرها النفسي عليه ، وهكذا يسهم الاسترجاع هنا في تعميق البعد النفسي للشخصية وإبراز تحولها من الجهل إلى الوعي بحالته وماضيه ، حيث مكنه الاسترجاع من فهم حقيقته النفسية .

¹ آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية، ط2، لبنان، 2015، ص 103.

² جيلالي عمراني، البكاء، ص09.

في هذا المقطع يتذكر الطبيب هشام عبيد أول لقاء له مع زوجته عبير «ظهرت عبير في أوائل الخريف، منتصف الثمانينات، بالضبط في مستشفى "مصطفى باشا"، أذكر أنها جاءت من مدينة بودواو حيث تسكن رفقة والدتها وتشتغل معلمة في مدرسة ابتدائية غير بعيدة من سكنها، كنت تأثها في الرواق، إذ أوقفتني بحياء الصبايا.... كأنها لمست بكلماتها تلك كل أوجاعي ضربت كل قناعاتي وأوهامي في الصميم بضربة قاصمة، كالحب الخالد»¹ فالطبيب هنا عاد إلى الماضي ليستحضر أول لقاء جمعه بزوجه عبير، فاستعاد تفاصيل تلك اللحظة وما رافقها من مشاعر وانطباعات، ساهم هذا الاسترجاع في كشف بداية العلاقة بينهما ووضع عمقها، كما أضفى على النص بعدا عاطفيا فرغم بساطة اللقاء وعفويته إلا أن له دلالة كبيرة في تشكيل مسار حياة الطبيب لاحقا .

وفي هذا المقطع يتحدث الطبيب هشام عبيد عن ذكرياته مع والدته التي كان يلجأ إليها كلما يضيق به الحال « في السابق كلما اختنقت ألجأ إلى والدتي في قرية ريفية، نسيتهما الآن بسبب رحيل أمي بمرض الزهايمر يكفي دخولي البيت وأراها فتنزاح متاعبي دفعة واحدة، هي تتفهم زلاتي ومتاعبي، من أين لها كل ذلك الثقل والصبر، فتمتص قلقي بسرعة، أتتاسى همومي، تجدني في ساعة قادمة أنام كالطفل»² ، يعكس هذا المقطع عودة الطبيب إلى ذكرياته التي جمعتها مع أمه أثناء لحظة يعيشها في الحاضر تتداخل الأزمنة ويستعيد تفاصيل معاناته وهروبه إلى أمه لأنها تخفف عنه الهموم وتمنحه الشعور بالأمان، حتى أنه كان ينام عندها كالطفل، هذا يدل على أن الأم كانت بالنسبة له مصدر راحة نفسية وملجأ عاطفي ، كما يكشف هذا الاسترجاع عن تعلقه العميق بها وافتقاده لذلك الأمان في الحاضر، مما يجعل ذكرياته مزيجا من الدفء والألم في آن واحد.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 57 .

² المرجع نفسه، ص 43.

مما سبق يعد الاسترجاع من أبرز التقنيات السردية التي يعتمد عليها الكاتب لكسر خطية الزمن، حيث يعود بالأحداث إلى الماضي ليكشف خبايا الشخصيات ويفسر مواقفها الحاضرة لا يقتصر على استحضار الذكريات فقط بل يسهم في تعميق البعد النفسي وإضفاء طابع إنساني ومأساوي على النص مما يجعل القارئ أكثر تفاعلاً مع مجريات الرواية، وبذلك يصبح الاسترجاع أداة فنية فعالة تربط بين الماضي والحاضر، وتمنح العمل الروائي غنى دلالية وجمالية.

3-الايقاع الزمني:

الايقاع الزمني في الرواية هو السرعة التي يسير بها الزمن داخل السرد ، أي كيف يختار الكاتب أن يسرع الأحداث أو يبطئها أو يوقفها حسب ما يراه مناسباً فهو ينظم حركة الزمن في الرواية من حيث البطء أو السرعة مما يمنح الرواية حيوية وجمالاً فنياً « يقوم بناء الرواية الواقعية على وحدتين أساسيتين "التلخيص والمشهد" ، وتفضل التلخيصات بين المشاهد وتقدم لها ، فالمشهد يقع في فترات زمنية محددة كثيفة مشحونة شحنة خاصة ، أما التلخيص فيقدم مواقف عامة عريضة»¹ في رواية البكاء نجد أن الايقاع الزمني يلعب دوراً محورياً في منح السرد توازناً نفسياً ودرامياً للشخصيات، حيث تتحرك الشخصيات عبر الزمن بطريقة سلسلة مع إبراز اللحظات المهمة عاطفياً ونفسياً، بينما تتجاوز التفاصيل الأقل تأثيراً بسرعة، هذا الايقاع ليس مجرد ترتيب للأحداث، بل أداة فنية تضيف توازناً بين الحركة والسكينة، بين الماضي والحاضر وتمنح الرواية بعداً نفسياً وعاطفياً غنياً.

3-1-المشهد:

المشهد يبطئ الإيقاع الزمني ويركز على التفاصيل الحسية والانفعالية فيتيح للقراء تجربة لحظة الحدث كما لو كانوا حاضرين معها، سواء كان مشهداً مأساوياً، صراعاً نفسياً أو لقاء عاطفياً

¹ سيزا قاسم، بناء الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة 2004، ص 94.

« يعطى المشهد للقارئ احساسا بالمشاركة الحادة في الفعل ... يستخدم المشهد للحظات المشحونة و يقدم الراوي دائما ذروة السياق من الأفعال وتأزمها في مشهد ¹ » فالمشهد مقطع سردي تعرض فيه الأحداث بتفاصيلها كما لو أنها ترى مباشرة.

في رواية البكاء استعمل الكاتب جيلالي عمراني تقنية المشهد لإبراز الصراعات النفسية للشخصيات بشكل حي و واقعي، فهو يتيح للقاري متابعة الأحداث لحظة بلحظة من خلال الحوار و الوصف هذا ما خلق ايقاعا زمنيا محسوسا يتيح الانغماس الكامل في الرواية ، بذلك يصبح المشهد أداة أساسية لتجسيد الصراع النفسي والتوتر الدرامي في البكاء يظهر ذلك في المقاطع التالية «غمرتني سعادة من حيث لا أدري ، لا توصف تلك الفرحة الغامرة المتدفقة من كل مكان في داخلي ، كأني أطيّر فوق السحاب، بودي في تلك اللحظات النادرة أن أقول لهشام كل الذي لم أقله طيلة كل الجلسات واللقاءات والبوح المستمر لمدة نصف عام أو أكثر بقليل، جلسات مراطونية داخل عيادته التي صارت محجا حقيقيا لي ، وخارج ساعات الدوام ، تلك اللقاءات التي تحدث بالصدفة عندما يخرج من عيادته...»² « أمام مرآتي أرى سفيان الآخر كثعبان يستبدل جلده . أفكر في رش جسدي بالكامل بقلادة عطر ماركة smart ، كنت خفيفا ونشيطا ومستعدا لكافة الاحتمالات التي تنتظرني مع سامية ، مع زوجتي باية التي تكره جلوسي إلى مكتبي الخشبي مدعيا كذا مرة أنني سأكتب شيئا مهما لكني لم أفعل ولن أفعل ، لعلها تقترح بفشلي ذاك المبرمج بسبب كائنات ورقية صارت تقلقني كلما فكرت بجدي في مواجهتها ، تلك الأمسية الحبلية المعطرة بأريج الذكريات المتدفقة...» نلاحظ في هذه المقاطع أن الأحداث توقفت وبقي فقط وصف حالة نفسية يمر بها السارد وكأن الزمن توقف ولم يبقى سوى وصف لمشاعر و انفعالات يمر بها وتشعر بها ذاته هذا ما تجده في هذا المقطع «وأنا بعيد عن شارع ستراسبورغ

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 95.

² المرجع نفسه، ص15.

وعن عيادتي وأسرتي أراقب حركة العالم من شرفة الشقة ذات الغرف الثلاث ، علاقتي بالعالم الخارجي اختصرتها في اتصالات زبيدة القليلة جدا المتوترة بما حدث لي، هي الأخرى لا تستبعد إيداءها .أقضي ساعات قليلة مع راس الكيلو عفوا عمي بشير الذي يتكرم بمجالستي صباحا ... ثم يعرج بي إلى ميادينه وتاريخ الشخص المليء رعبا ، يومياته داخل ثكنة أين عمل دركيا في المناطق الصعبة»¹

كذلك نجد هذا المقطع لهشام عبيدي أثناء هروبه من الرينقو المجنون «حركة يدي المرتعشة لم تساعدني على تجاوز المشكلة، قدراتي شبه معطلة للملزمة كل الصور والأحداث، ثم تركيبها قبل وصول قاتلي المدمج بالسلاح ومعه كل أفراد القبيلة ...تبا لم يكن توتري مصطنعا بل حقيقي في مشهد رعب واقعي غير قابل للتعديل أو التحوير أو التقصير ، حشرجاتها تعرفني آلات تفكيري شبه مبعثرة بين البحث عنه ثقب الباب أو الاختباء، لكن أين وكيف؟ أتساءل بصوت مسموع ، هو السؤال الوحيد المتبقي في جعبتي، لكن لماذا كل هذا العبث والاختباء وراء سراب إن كان في النهاية سنموت بهذا الشكل أو بآخر ...»² نجد في هذه المقاطع أن الكاتب لم يكتف بنقل الوقائع بل عمل على تركيب المشهد تدريجيا ، أي أن الصورة تتشكل خطوة خطوة أمام القارئ ، عبر تداخل الوصف ، الحوار أو التعليق وهذا التدرج يجعل المشهد حيا و متحركا وليس مجرد حكاية تروى ، فالكاتب اعتمد على الوصف الدقيق وتفكيك الحدث إلى جزئيات صغيرة ، مما أبطأ الإيقاع الزمني وجعل القارئ يعيش الوقائع وكأنه يشاهدها مباشرة، و هو ما يعكس وظيفة المشهد في تقريب الأحداث وتجسيدها بواقعية، فكثرة توظيف المشهد تعكس وعي الكاتب بأهميته في تجسيد الواقع الداخلي للشخصيات خاصة في الرواية ذات البعد النفسي ، حيث يصبح المشهد أداة لكشف التوترات والانكسارات التي تعيشها الشخصيات ، لذلك يمكنه اعتبار المشهد

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص48.

² المرجع نفسه، ص33.

عند جيلالي عمراني تقنية جمالية ودلالية في آن واحد ساهمت في إغناء النص ومنحه قوة تأثيرية أكبر لدى القارئ

ومنحت السرد طابعا حيا نابضا بالحركة وديناميكي مفعم بالحياة.

3-2- التلخيص:

تقنية التلخيص في الرواية هي إحدى تقنيات السرد التي يعتمد عليها الكاتب لاختزال الزمن والأحداث، بحيث يمر على فترة طويلة أو أحداث كثيرة بسرعة وبعبارات موجزة دون الدخول في تفاصيل دقيقة، فيقوم السارد بتقديم الأحداث بشكل عام ومكثف فيكتفي بذكر ما وقع دون تصوير المشاهد لحظة بلحظة كما يحدث في تقنية المشهد، فالتلخيص سرديّة تستعمل لتسريع الأحداث وتجاوز التفاصيل والأحداث الثانوية أو غير مهمة.

فالتلخيص هو تقنية سرديّة تقوم على اختزال الأحداث الطويلة في عبارات قليلة دون التفصيل في الجزئيات « التلخيص وهو شكل من أشكال السرد القصصي ، ووظيفته تلخيص مدة زمنية لعدة أيام أو أسابيع أو عدة سنوات في مقاطع أو صفحات قليلة، من دون الخوض في ذكر تفاصيل عن الأعمال والأقوال التي تضمنتها الصفحات أو المقاطع المشار إليها»¹ في المقاطع الآتية سنجد تقنية التلخيص بشكل واضح في رواية البكاء « هي سنوات وأنا في دائرة مغلقة مظلمة بدايتها بقرص منوم ونهايتها باستيقاظي المتأخر على إيقاع ما ، صراخ مشادات في الحي ، تأفف باية ، تذمر الوالد من ضيق ذات اليد ، أزيز الرصاص في مكان قريب ، بوق سيارات الاسعاف...»²

¹ ناشد كي، عباس كي بي، تقنيات الزمان في القصص والروايات، مجلة الساج (مجلة بحثية سورية محكمة)، الرقم 04،
<https://research.journalsnesmampad.edu.in>، 2021/07/04، ص160.

² جيلالي عمراني، البكاء، ص17.

« بعد شهر، بحث عن منفذ ليصب جام غضبه دفعة واحدة ، ربما لاعتقاده أنها كانت السبب في القحط والعطالة إلى دمرته شيئاً فشيئاً »¹

المقطع الأول لخص الكاتب حياة سفيان عبد الجليل أو سنوات منها في بضعة أسطر فهو لسنوات يعيش حياة متأزمة وفيها رتابة لا تتغير، هذا يدل على معاناة نفسية ، اضطراب وضغط دائم يجعله يعيش نفس النمط يوميا دون أمل في التغيير، فبدل أن يسرد أحداثا يومية متكررة قدم خلاصة هذه الفترة بشكل مكثف مبرزاً أهم ملامحها (المنوم، الاستيقاظ المتأخر، الصراخ ، صوت سيارات الاسعاف).

المقطع الثاني يبين السارد أنه بعد شهر كامل تراكم الغضب بداخله حتى أصبح مستعداً لأن ينفجر دفعة واحدة، فتحول هذا الغضب إلى حالة من الاحتقان النفسي ومعاناة داخلية مكثفة، حيث يتحول الاحباط والبطالة إلى غضب متراكم وهو ما يعكس بوضوح دور التلخيص في اختزال الزمن وإبراز الحالة النفسية للشخصية، فالمقطعان معا يشكلان مساراً نفسياً متصاعداً، حيث يلخص الكاتب سنوات من الرتابة والمعاناة التي أدت إلى شهر من الاحتقان لينتهي الأمر بانفجار الغضب وهو ما يبرز دور التلخيص في كشف تطور الحالة النفسية للشخصية. مثال ذلك هذا المقطع « سنوات طويلة كنت في نفس الغرفة ، يؤلمني منظر المكتبة الفارغة التي تحولت مع مرور الأيام إلى خزانة لملاسي وجواربي و قمصان تحشوها باية حشوا مريعا، لتحدث تشوها في ذاتي كلما رأيت ذلك المنظر أغط في النوم العميق أتمنى ألا استيقظ نهائياً ، كأنه أرجئ حالة الانتحار إلى أقرب لحظة، سنة تلي أخرى لم أفكر يوماً في مواجهة نفسي الضعيفة كما قالها الدكتور»²

لخص سفيان عبد الجليل سنوات من حياته في أسطر وعبر عن الألم الذي يعتريه من منظر المكتبة الذي تحول إلى خزانة ملابس، هنا وصف الكاتب فقدان المعنى الأصلي للمكان، حيث كانت المكتبة

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص150.

² المرجع نفسه، ص176.

رمزا للعلم والثقافة لكنها تحولت إلى مكان للملابس، أي أن المعرفة اختفت وحلت مكانها أمور حياتية سطحية، السبب في ذلك هو الخوف من الإرهاب، أي أن الخطر الخارجي

(الإرهاب) دفع الشخص إلى التخلي عن القيمة الأصلية للمكان (المكتبة) وتحويله إلى مكان آمن ومألوف لكنه فارغ من محتواه الفكري والثقافي، الكاتب استخدم التلخيص ليختصر سنوات من الركود النفسي والخوف مركزا على النتيجة الأساسية وهي تشوه الذات وفقدان المعنى، هذا ما يجعل القارئ يدرك أثر الإرهاب والخوف على الشخصية دون الاسهاب في التفاصيل اليومية.

نجد كذلك استعمال تقنية التلخيص في هذا المقطع « سنوات وأنا أنتظر الضوء الأخضر من الطبيب ، لأعود إلى عملي وأوراقى البيضاء ، التي ترعبني بمنظرها كلما رأيتها على الرف ، أو على سطح المكتب ... كل تلك السنوات الماضية كنت أتمدد في نعشي الصغير مغطى بملاءة سوداء منكمشا...»¹ ، تقنية التلخيص في هذا المقطع واضحة فالكاتب لم يصف كل الأحداث اليومية أو كل لحظات الانتظار الطويلة بل اختزل سنوات من المعاناة في صور مختزلة ورمزية : الأوراق البيضاء، الانتظار، النعش الصغير، الملاءة السوداء ، كل هذه الرموز تعمل على إيصال شعور الشخصية بالرهبة والخوف والجمود دون الحاجة لسرد مطول ، فالتلخيص هنا سمح للقارئ أن يشعر بثقل السنوات وسرعة مرورها على الشخص مع التركيز على المشاعر الجوهرية بدل التفاصيل الكثيرة.

تقنية التلخيص تمكن الكاتب من اختزال أحداث طويلة ومعقدة في كلمات وجمل قليلة تحمل دلالات عميقة، مما يجعل القارئ يشعر بالزمن الذي مر، والضغط النفسية للشخصيات دون الانغماس في التفاصيل اليومية أو الروتينية، فهو لا يقلل من التأثير بل على العكس يضخم الجو النفسي والرمزي ويبرز الصراعات الداخلية للشخصيات بطريقة مركزة وقوية مما يسهل على الرواية الحفاظ على إيقاعها السردى والتشويق في الأحداث.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 177.

المبحث الثاني: الفضاء والسرد المأساوي.

الفضاء في الرواية هو الإطار العام الذي تجري فيه أحداث الرواية ويشمل المكان وكل ما يرتبط به من أبعاد نفسية و اجتماعية و ثقافية وليس مجرد موقع جغرافي فقط ، فهو العالم الذي تتحرك داخله الشخصيات وتتشكل فيه الأحداث و يؤثر في سلوكها ومصيرها.

إذا « نقصد بالفضاء ذلك المعنى الذي شرحه ميشال بيتور الذي يبين أن الفضاء الروائي لا يشمل فقط الإطار الجغرافي أين يدور الحدث بل يشمل أيضا الأشياء التي تصاحبه ، يضاف إليها كل حركة ذات ترتيب فضائي ، فالأثاث و الأشياء وتنقلات الأشخاص كل ذلك ينبغي أخذه بعين الاعتبار»¹ فالفضاء السردى هو مكون مهم مع تداخله مع العناصر السردية الأخرى يشكل وظيفة بالغة الأهمية فهو يساهم في بناء الجو العام للرواية (مأساوي ، رومانسي ، واقعي...) فهو يتجاوز كونه اطارا جغرافيا ثابتا ليغدو بنية دلالية فاعلة تسهم في تشكيل الشخصيات وتوجيه الحدث وإنتاج المعنى وتكثيف دلالاته ، فالفضاء عنصر بنيوي دلالي يشارك في توليد المعنى ونقل أحاسيس الشخوص للقارئ فمن خلال وصف الفضاء الروائي فإن القارئ يستطيع أن يشعر ويحس ما تحسه الشخصية الموجودة في ذلك الفضاء. «فتعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكى، وتنهض به في كل عمل تخيلي»² كما أن الفضاء يؤثر على سيرورة العمل الروائي وذلك من خلال تأثيره على الشخصيات فيوجه سلوك الشخصيات ويؤثر كثيرا في نفسياتها فالأمكنة المغلقة تولد الإحساس بالقهر والعزلة، بينما الفضاءات المفتوحة توحى بالحرية أو الضياع مما ينعكس مباشرة على تصرفات الشخصيات ومساراتها.

¹ مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغربية، موفم، الجزائر، 2013، ص43.

² لونيس بن على الفضاء السردى في الرواية الجزائرية، ص19.

فالمكان يؤثر على الفرد بدرجة كبيرة «لا شك أن ثمة علاقة حميمية بين الشخصية والمكان الذي تقيم فيه. فالمكان يعكس سلوك الفرد ومشاعره وأحاسيسه وهو الذي يحدد طبيعة الشخوص وسماتها»¹ كما أن له تأثير دلالي رمزي عميق على الأحداث وذلك لأنه يصبح علامة رمزية تعبر عن قضايا فكرية واجتماعية مثل القمع والخوف، الاغتراب أو الحنين. فيغدو حاملاً للمعنى لا مجرد مكان، كما يعكس الفضاء ملامح المجتمع والمرحلة التاريخية التي تنتمي إليها الرواية مما يرسخ بعدها الواقعي أو التوثيقي فالفضاء هو « المسرح الروائي بأكمله الذي يقوم على الشمولية ويكون المكان الروائي داخله جزءاً منه، والمكان الروائي هو بناء لغوي يشيده خيال الروائي يشير إلى موضع بعينه تجري فيه أحداث الرواية »² فالمكان جزء من الفضاء لأن هذا الأخير يتميز بالشمولية والاتساع وضم مجموعة من العناصر حتى يصل الإحساس إلى القارئ كما تحسه الشخصية في ذلك الفضاء، فهو بمثابة المسرح الذي تنتظم فيه أحداث الرواية بكاملها و يشمل مختلف الأمكنة والعلاقات التي تتحرك داخلها الشخصيات أما المكان فهو جزء منه .وتتقسم الأمكنة إلى قسمان :

1- الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح هو فضاء سردي واسع وغير محصور، يسمح بحرية الحركة والانتقال، ويرتبط غالباً بالانطلاق، الحرية، التغيير والانفتاح على الآخر، فالأمكنة المغلقة «هي ذات حيز مكاني خارجي ليس له حدود ضيقة، بل ذات فضاء واسع وغالباً ما يشير هذا إلى لوحة طبيعية خارجية»³ فالمكان المفتوح يشمل الطبيعة والفضاءات العامة (الشارع، الصحراء، المدينة، القرية...الخ)

¹ نفلة حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله (قراءة نقدية)، ص 105.

² محمد موسى العبيد، دراسة تطبيقية على رواية (الرجل الخراب)، منتدى الرواية الافتراضي المنصة الرقمية لمناقشة ومدارسة الروايات السودانية، الجلسة رقم 03، 2020، ص 12.

³ شعبان هيام، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، الأردن، 2004، ص 277.

كما أنه يسمح بتعدد العلاقات واللقاءات ويتسم بالحيوية والتغير المستمر وهو فضاء الاتساع والحرية والحركة «هو كل حيز كبير أو صغير قائم أو متحرك ثابت أو متغير يحتوي الحدث والشخصية والفكرة. وينفتح على الآخر مباشرة أو بالواسطة، وتلاقيه الصلة أو التفاعل، أو التأثير»¹ فالمكان هو الاطار الذي تجري فيه الاحداث المختلفة.

المكان ليس مجرد إطار جامد بل يحتضن الأحداث يؤثر في الشخصيات يعكس الأفكار... إلخ كما أنه يتصل بأماكن أخرى بشكل مباشر مثلاً الشارع يؤدي إلى ساحة، أو غير مباشر فالشارع مثلاً يؤدي بالشخصية إلى استذكار مراحل من حياتها وذكراياتها فهو له تأثير مادي ومعنوي نفسي يحتضن الأحداث والشخصيات والأفكار ويتفاعل معها دلاليًا، مما يجعله عنصراً فاعلاً في بناء السرد وتوجيه معناه. ومثال الأماكن المفتوحة في رواية "البكاء" نجد:

1-1- المدينة:

المدينة في الروايات ليست مجرد مكان. بل عنصر حي يشارك في بناء المعنى ، ويؤثر في الشخصيات والأحداث مثلاً في هذا المقطع لسفيان عبد الجليل يقول فيه: « ذهبت إلى مدينة البويرة قبل الموعد بساعة ، بداية مشواري الصباحي حتما سيكون من رحبة الزيت الشعبية بامتياز هي زقاق ضيق مليء بالحفر والدكاكين الصغيرة ، ومكتبة علي بابا الساحرة على الأقل بالنسبة لي، فهي ساهمت بشكل ما في تكويني... تستفز التوابل كل حواسك من الشيخ والنعناع الأخضر والقصبر والزعتر البري أصوات الباعة الصغار والنشالين المحترفين كسيمفونية صباحية توقظ فيك الخلايا شبه الميتة »² نرى هنا ذكر السارد مدينة حقيقية ومفصلة بدقة جعل الرواية أكثر واقعية ، وقرب القارئ من الأحداث وكأنه يعيشها حقيقة.

¹ ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية، بغداد، 2010، ص113.

² جيلالي عمران، البكاء، ص18.

عندما قدم الكاتب المدينة بتفاصيلها الدقيقة: شوارعها، أحياءها، ضجيجها فإنه لم يكتف بوصفها فقط بل بنى عالما نابضا بالحياة يبدو قريبا من الواقع، هذا ما يجعل القارئ يشعر بأن الأحداث ممكنة الوقوع وليست مجرد خيال هنا تحولت المدينة من مجرد خلفية إلى عنصر فعال يرسخ صدق التجربة السردية. لدينا كذلك المقاطع التالية:

«المدينة تريفت بسرعة مذهلة بسبب الهجرة التي شهدتها في السنتين الأخيرتين بسبب الارهاب الذي يضرب بقوة في الأرياف وفي القرى القريبة»¹

«تحولت أطراف مدينة "ب" الجبلية الى مرتع للمتطرفين يقررون ما يشاؤون، أولا منعوا التدخين، ثم منعوا وصول الجرائد إلى المدينة، غلقت المكتبة الرئيسية لاحقا، في أعقاب ذلك المد حرق المركز الثقافي الوحيد قتل كل ماله علاقة برجال الأمن أو الجيش في فترات متقاربة»²

«تعج المدينة بالصعاليك وبالمناضلين الشيوعيين والاسلاميين على قتلهم الذين بدؤوا يظهرهم للعلن في باحة المسجد خصوصا... لكن ألسنتهم لا تكف عن السخط والسب واللعن»³

في المقاطع السابقة تحولت المدينة إلى فضاء مضطرب ومخيف إذ تزحف بسرعة مذهلة لتغدو مسرحا للرعب، خاصة في الأرياف والضواحي هذا التحول لا يبقى خارجيا فقط بل ينعكس على الشخصيات نفسيا. حيث تتحول المدينة من كونها مكانا للحياة والاستقرار إلى فضاء يهدد الانسان ويزرع فيه القلق والاختلال كما تشير هذه المقاطع إلى صعوبة الخروج من هذا الواقع، كأن المدينة تحاصر الفرد وتمنعه من الهروب، فتغدو رمزا للأزمة.

تجسيد المدينة بصورة مأساوية ليس مجرد اطارا للأحداث، بل عنصر فاعل يساهم في تعقيد حياة الشخصيات فظهرت المدينة كفضاء مولد للخوف ينشر الهواجس والهلع، وفضاء منتج للأزمة النفسية

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 64.

² المرجع نفسه، ص 176.

³ المرجع نفسه، ص 196.

إذ تعكس الفوضى الخارجية اضطراباً داخلياً لدى الشخصيات، وكذلك أصبحت المدينة فضاء خانقاً ومحاصراً لا يجد فيه الفرد ملاذاً آمناً، بل يشعر فيه بالعجز والاختناق، وبالتالي فالمدينة في رواية "البكاء" تمثل رمزا للواقع المتأزم الذي يضغط على الإنسان ويدفعه نحو الانهيار مما يضيف على الرواية طابعاً مأساوياً واقعياً.

1-2- الشارع:

الشارع في الرواية فضاء ديناميكي يستخدم لإحياء السرد وكشف الواقع وتعميق البعد النفسي، لذلك فهو عنصر أساسي في بناء الرواية، خاصة في الأعمال ذات الطابع المأساوي مثل رواية "البكاء"، لأنه يعتبر مسرحاً للأحداث. يعمق الاحساس بالوحدة رغم الزحام والضجيج، فهو يعتبر أداة فنية تبرز القلق، الصراع وانهيار الشخصيات فيه، فالشارع يعكس اختلال المدينة. والخوف المنتشر فيها، فيصبح امتداداً للحالة النفسية للشخصيات، فكلما اشتد اضطرابها، بدا الشارع أكثر قسوة وغموضاً مما يعمق الطابع المأساوي للرواية.

وظف الكاتب الشارع في الرواية في هذا المقطع: «أندرج في شارع ستراسبورغ عن غير هدى ، هروباً من عيون المارة أو معارفي وأصدقاء قد ألتقي بهم وأنا في حالة موت محتملة ، بدت لي كل الأشباح التي تتحرك أمامي وخلفي تسخر من العاشق الهارب ، أتخيلهم يعرفون قصتي بالتفصيل الممل... لم أنتبه لكل المطبات السخيفة و أصوات الباعة الصغار»¹ الشارع هنا يقدم في البداية كفضاء واقعي ، ضجيج ، حركة ، صدمات ، لكنه تحول تدريجياً إلى فضاء مخيف ومهدد ، هذا التحول ليس في الشارع نفسه ، بل في نظرة السارد إليه ، إذ يرى الأشباح و يتخيل الملاحقة فيصبح الشارع امتداداً لدخله القلق.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 35.

الشارع هنا فضاء واقعي ظاهرياً مليء بالحركة ويعكس الحياة اليومية العادية لكنه في الوقت نفسه فضاء نفسي داخلي تحول فيه إلى مكان للهواجس والهوسات حيث تختلط الحقيقة بالوهم ، أصبح الشارع تجسيدا لخوف السارد و قلقه لأنه يشعر أنه ملاحق أو مهدد مما يجعل الشارع يبدو كأنه ساحة مطاردة أو محاكمة ، تم توظيف الشارع في هذا المقطع ليس فقط كمكان خارجي ، بل كعنصر دلالي يعكس تشظي الذات وانهيائها النفسي ، فكلما اشتد اضطراب السارد ، ازداد الشارع قسوة وغرابة ، مما يجعل الفضاء الخارجي مرآة دقيقة للعالم الداخلي المضطرب ، المتأزم.

نجد توظيف الشارع في المقطع التالي: « عيادتي التي أفخر بها كثيرا أمام الزملاء بحكم تموقعها في أهم شارع وأخذت حيزا مكانيا رائعا ، في شارع ستراسبورغ قبالة حديقة الأسود الثلاث بشرفة مثالية تطل على الشارع الممتد وقاعة الريش البديعة ، في مشهد جمالي خلاب ، هذا ما جعلها تستقطب لاحقا: مريم ، الرينقو ، سفيان ، باية... وغيرهم أقصد الجميع بمن فيهم أنا في هذا الكولاج السردى المريع المتواصل كشلال متدفق قبل نحري »¹ يعكس هذا المقطع حالة نفسية متوترة ومضطربة يعيشها السارد حيث يبدأ بوصف عيادته التي يفخر بها ، خاصة بسبب موقعها في شارع ستراسبورغ المقابل للحديقة. هذا التوقع يمنح العيادة قيمة رمزية واجتماعية، إذ يجعلها مركز جذب لمختلف الشخصيات (مريم، الرينقو، سفيان، باية..) وكأنها نقطة التقاء مصائرهم. لكن هذا الفخر الظاهري سرعان ما يتحول إلى توتر داخلي حاد يتجلى في عبارة " كشلال متدفق قبل نحري " حيث ينتقل السرد من وصف المكان الخارجي إلى انفجار داخلي يعكس رغبة في العنف أو الانهيار هذا التحول يدل على أن المكان ليس مجرد فضاء مادي، بل هو مرآة عاكسة لحالة نفسية متأزمة، فازدحام الشخصيات في هذا المكان يقابله ازدحام الأفكار والهواجس في ذهن السارد إلى درجة التفكير في الموت.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 54.

ذكر الشارع لم يكن اعتباطيا، بل هو توظيف فني يجمع بين الواقعية والرمزية، حيث يتحول من مجرد مكان خارجي إلى عنصر كاشف للأزمة النفسية وتصادد التوتر داخل السارد. بالتالي فذكر الشارع يعكس صخب الحياة الخارجية ويوازي في الوقت نفسه اضطراب العالم النفسي للأبطال، فيتحول إلى فضاء يكشف العزلة وسط الزحام، والضياح داخل الواقع، وهكذا يسهم توظيف الشارع في تكثيف البعد الواقعي والرمزي معا، مما يعمق الاحساس بالمأساة ويجعل القارئ أكثر تفاعلا مع معاناة الشخصيات.

2- الأماكن المغلقة:

المكان المغلق هو فضاء سردي محدود ، تحيط به جدران أو حدود مادية أو رمزية و يقيد حركة الشخصيات ويحد من تواصلها مع العالم الخارجي، غالبا ما يستثمر في الرواية للتعبير عن القهر العزلة الاختناق النفسي أو الاجتماعي « المكان المغلق يتحدد بمساحته ومكوناته كمكان العيش والسكن الذي يلجأ إليه الإنسان .. ، ولذلك هو مكان مؤطر بحدود هندسية و جغرافية ، وقد يكشف عن الألفة و الأمان ، وقد يكون مصدرا للخوف والذعر»¹ فالمكان المغلق لا يحمل دلالة ثابتة بل تتغير دلالاته حسب منظور الكاتب فيمكنه أن يصبح مصدرا للأمن والأمان عندما يحمي الشخصية من خطر خارجي فيمنحها شعورا بالاستقرار و الانتماء ويسمع لها بالراحة والسكينة فيشعرها بالطمأنينة والاحتواء والخصوصية والانعزال الايجابي عن العالم الخارجي إذا كان هذا الأخير فيه عدم استقرار فهنا يتحول المكان المغلق إلى مصدر حماية و احتواء، إذا « هي الأماكن التي تبرز رؤى الكاتب و تمثل الفضاء الذي يحمي الشخص من العالم الخارجي»² فالمكان إما أن يكون مصدرا للأمان أو يكون مصدرا للخوف وذلك عندما يفرض على الشخصية قسرا ويمنعها من الحركة والهروب فيضيق عليها حتى يصبح سجنا نفسيا قبل أن يكون ماديًا، فتحدد دلالاته تبعا للحالة النفسية للشخصية والسياق السردى الذي وضعها فيه الكاتب.

¹ ياسين النصير، الرواية والمكان، ص 107.

² ناجي جمعة، الحوار في الرواية البحرينية المعاصرة ، اسكريب للنشر والتوزيع، مصر، 2022، ص 33.

هذه أمثلة عن الأماكن المغلقة التي ذكرت في رواية " البكاء "

2-1- البيت:

البيت في الروايات ليس مجرد مكان، بل هو مرآة تعكس الداخل النفسي للشخصيات. ووسيلة فنية تساعد الكاتب على تعميق المعنى وإبراز البعد الانساني خاصة في الروايات ذات الطابع المأساوي حيث يتحول أحيانا من فضاء أمان إلى فضاء خوف واختناق في هذا المقطع نجد توظيف البيت على أنه مصدر أمان : « نزلت ، ترجلنا صوب باب العمارة b ، ثم الطابق الثالث رقم 6... فتح الباب الحديدي أولا ثم الباب الخشبي دخلت برجلي اليمنى ، لا أؤمن بهذه الطقوس لكني مجبر على ممارستها لعلها تنقذني، تنفست الصعداء في الرواق الملون درت يمينا جهة الصالون الصغير الغارق في الظلمة »¹ هذا المقطع يصور هروب الطبيب هشام عبيد إلى بيت عمي بشير (راس الكيلو) باعتبارها لحظة بحث عن النجاة من خطر يهدده وهو الرينقو المجنون الذي يحاول قتل الطبيب دخل برجله اليمنى بحثا عن النجاة بهذه الطقوس مما يكشف عن حالته النفسية المضطربة والمشحونة بالقلق ، لكنه في الوقت نفسه يتمسك بهذه الطقوس لأنها تمنحه إحساسا مؤقتا بالحماية كما وصف الصالون الصغير الغارق في الظلمة يدل على أن الأمان ليس كاملا بل هو أمان ممزوج بالتوتر.

هروب الطبيب إلى بيت عمي بشير يجعل من البيت رمزا للأمان والاحتفاء لكنه أمان غير مكتمل لأن الخوف الذي يطارده في الخارج يظل حاضرا في داخله، فيتحول البيت إلى فضاء يجمع بين الحماية والقلق في آن واحد.

في المقطع التالي وظف الكاتب البيت باعتباره مصدر قلق وخوف « سفيان عبد الجليل يتوهم قتلة يتعايشون معه في غرفته ، كل ليلة يراهم ملء العين في ظلمة دامسة ، يعيشون فسادا في غرفته في

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 44.

أوراقه يتفننون في تعذيبه»¹ في هذا المقطع لم يعد البيت فضاء للأمان كما هو مألوف بل تحول إلى مصدر خوف وقلق نفسي عند سفيان عبد الجليل ، الغرفة لم تعد مكان راحة ، بل مكان حصار نفسي و مسرحا للهواجس لأن ما يحدث ليس حقيقيا ، بل ناتج عن اضطراب داخلي حيث تتحول الأوراق إلى مصدر تهديد.

توظيف الظلام والعزلة داخل الغرفة يعمق الاحساس بالرعب ويجعل القارئ يعيش تجربة القلق التي يمر بها البطل فالبيت هنا لم يعد يحميه من الخارج، بل أصبح هو نفسه مصدر الخطر. تم توظيف البيت في هذا المقطع بوصفه فضاء معاديا يعكس الهلع والتخيل المرضي، حيث تختلط الحقيقة بالوهم ويتحول المكان الحميمي إلى مصدر تهديد دائم.

2-2-العيادة :

وظف الكاتب عيادة الطب النفسي في الرواية باعتبارها فضاء دلاليا عميقا يكشف من خلاله عن خبايا النفس البشرية واضطراباتا فهي ليست مجرد مكان للعلاج. بل مجال لتعرية الصراعات الداخلية للشخصيات حيث يتقاطع الواقع بالوهم ويتجلى الخوف والقلق في أقصى صورهما، كما ترمز إلى لحظة الانكسار والعجز عن مواجهة العالم الخارجي.

هكذا تصبح العيادة النفسية أداة فنية ورمزية تعكس هشاشة الانسان في مواجهة أزماته النفسية، خاصة في الروايات ذات الطابع المأساوي مثل رواية " البكاء ".

في المقطع التالي وظف الكاتب عيادة الطب النفسي على أنها ملجأ للجميع: «عيادتي التي أفخر بها كثيرا أمام الزملاء بحكم تموقعها في أهم شارع ، و أخذت حيزا مكانيا رائعا... في مشهد جمالي خلاب... هذا ما جعلها تستقطب لاحقا مريم ، الرينكو ، سفيان ، باية ، راس الكيلو - عفوا - عمي

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 50.

بشير الكريم وغيرهم ¹ وظف الكاتب العيادة باعتبارها فضاء آمناً يلجأ إليه المرضى هرباً من قلقهم و اضطرابهم ، فهي تمثل مكاناً يوفر لهم الطمأنينة والاستقرار النفسي بعد معاناة طويلة مع الخوف والهواجس ، إذ يتجهون إليها طلباً للعلاج والتخلص من آلامهم الداخلية، وكأنها ملجأ يحميهم من عالم خارجي قاس وعنيف لذلك ارتبطت العيادة في النص بمعاني الأمان والراحة ، حيث يسعى المرضى إلى استعادة توازنهم النفسي والتخفيف من معاناتهم ، ما يجعلها رمزاً للسكينة ومحاولة الانعتاق من الاضطراب.

في المقطع التالي نجد العيادة النفسية تحولت من مكان راحة وطمأنينة إلى مصدر قلق وخوف لسفيان عبد الجليل «ازدادت كراهيتي للطبيب الكهل. قررت ألا أعود إلى عيادته الوسخة أبدا كنت أقولها في قرارة نفسي أو في حلم أو في ورقة كانت جنبي إلى أن سمعتني باية أصرخ ليلاً، كأن كوابيس الليل عاودتني في ليلة تخليت عن المهدئات فعلاً بقرار شخصي...استيقظت على كراهيتي للمدينة ، عن المهدئات فعلاً بقرار شخصي استيقظت على كراهيتي للمدينة، للعار الذي سيلحق بالعيادة التي ارتبطت بي و بباية تمنيت تلك اللحظة أن تنفجر العيادة ²» في هذا المقطع لم تعد العيادة مكاناً للعلاج والطمأنينة، بل تحولت إلى مصدر هلع وخوف بالنسبة لسفيان عبد الجليل فقد ارتبطت في ذهنه بتجارب نفسية قاسية مثل الكوابيس والصراخ الليلي مما جعلها فضاءاً يستعيد فيه معاناته بدل أن يخففها. كذلك يظهر رفضه للطبيب ووصفه "بالكهل " و"العيادة الوسخة" دلالة على فقدان الثقة، فالعلاج لم يعد يمنحه الأمان بل زاد من شعوره بالاختناق والرفض، وقراره التخلي عن المهدئات يعكس حالة تمرد ويأس، إذ لم يعد يرى في العلاج حلاً بل جزءاً من المشكلة، أما تمنيه انفجار العيادة فهو تعبير عن ذروة الهلع

¹ جيلالي عمران، البكاء، ص 54.

² المرجع نفسه، ص 182.

والكراهية، حيث أصبحت العيادة في نظره رمزا للمعاناة النفسية والسجن الداخلي، هكذا تحول هذا المكان من فضاء علاجي إلى رمز للرعب والاضطراب النفسي.

2-3-المقهى:

في رواية "البكاء" وظف الكاتب المقهى كفضاء اجتماعي حيوي يجتمع فيه الناس ويتبادلون الأفكار، ما يسمح بعرض العلاقات بين الشخصيات بطريقة طبيعية، كما يعكس المقهى الواقع الاجتماعي المحيط بهم من هموم الحياة اليومية وفقر، وقلق ويصبح أحيانا ملجأ نفسيا مؤقتا للهروب من الضغوط، لكنه في الوقت نفسه قد يتحول إلى مصدر توتر وقلق إذا ارتبط بذكريات مؤلمة أو أحداث مزعجة ليصبح بذلك مرآة لحالة الشخصيات النفسية وصراعاها الداخلي « أكثر من مرة ونحن في مقهى "المسرح الصغير" بالضبط في المكان الذي يلتقي فيه راس الكيلو في ساعات خارج الدوام يسمعي بالمجان، أو أسمعته وهو يستجوبني حول قراءاتي سابقا عن أهم الروايات التي قرأتها . أكون متحررا من السرير من أسئلة حرجة تتعلق بالماضي الشخصي. في المقهى أكون أنا الكاتب الذي تخلى من مشروعه الضخم»¹ عندما أشعر بتعب في ركبتي وهي قلبي أدخل المقهى أخيرا، أجلس في نفس المكان الذي يجلس فيه سيد هشام... أعاني يا هشام حقيقة من فك شيفرة الولوج إلى نصي الأول، أجل والله...صحيح أقحمت نفسي في غابة من الكلمات والأوجاع والحنين واليتم... أبني وأهدم وأترك الأمر للبياض يحل محل الجمل الواجب كتابتها. فأبكي»²

هاته المقاطع تعبر عن دلالة المقهى كفضاء نفسي وليس مجرد مكان عادي فقد تحول من فضاء اجتماعي إلى ملاذ نفسي يلجأ إليه السارد هربا من ألمه، فنجد الطبيب النفسي هشام عبدي يلجأ للمقهى للتعبير عن ضغوطاته وآلامه لصديقه راس الكيلو، كما نجد الكاتب سفيان عبد الجليل كذلك يدخل

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 168.

² المرجع نفسه، ص 188.

المقهى عندما يحس بالتعب والانكسار وكأن هذا المكان أصبح مرتبطا بذاكرته ومعاناته لذلك فالمقهى هنا لا يرمز للراحة بل يعكس وحدة الشخصية وألمها وعجزها عن مواجهة واقعها مما يعمق الطابع المأساوي في النص، فبالرغم من أنه مكان للهروب ظاهريا لكنه في الحقيقة يكثف الألم الداخلي ويفجر معاناة الشخصية بدل أن يخففها.

بالتالي فلمقهى يتجاوز كونه مجرد مكان عابر في الرواية ليصبح عنصرا فنيا دالا يسهم في بناء المعنى وتكثيف الدلالة، فهو فضاء تتقاطع فيه العلاقات الاجتماعية وتتكشف عبره تحولات الشخصيات، كما يعكس أحيانا واقع المجتمع وهمومه حين تلجأ إليه الشخصية هربا من واقعها فتجد نفسها أكثر مواجهة لمعاناتها لذلك يظل توظيف المقهى وسيلة فعالة لإبراز العمق النفسي والواقعي في العمل الروائي.

المبحث الثالث: المظاهر الاجتماعية والسرد

اتسمت المظاهر الاجتماعية في الجزائر خلال فترة التسعينيات بانهايار السكنية العامة وانتشار الخوف والترقب، ونزوح سكاني كثيف من الريف إلى المدن سادت مظاهر الحزن والحداد وعرفت العادات اليومية تغيرا كبيرا كل ذلك كان خوفا من الاغتيالات العشوائية من طرف الجماعات المسلحة المنتشرة في كل مكان، تفككت العلاقات الأسرية والاجتماعية بسبب انعدام الثقة والتحويلات الأمنية العنيفة وغيرها كثير من المظاهر الاجتماعية الي سادت المجتمع آنذاك سنحاول من خلال هذا المبحث إبراز أهمها:

1-العزلة وانكماش الحياة الاجتماعية:

شهدت الجزائر خلال فترة العشرية السوداء حالة من الخوف والاضطراب العميق ، انعكست بشكل مباشر على الحياة الاجتماعية للأفراد ، فقد أدى انتشار العنف والتهديدات اليومية إلى ميل الناس نحو العزلة والانكماش داخل بيوتهم بحثا عن الأمان وتقاديا لأي خطر محتمل هذا ما زاد عند الناس كذلك

« الشعور بالخطر والتهديد المستمر والحذر الشديد»¹ منه فقد أصبحت العلاقات الاجتماعية محدودة ومتوترة ، حين اختفت مظاهر الحياة الاجتماعية التي كانت تميز المجتمع الجزائري مما أضعف الثقة بين الناس وخلق شعورا عاما بالوحدة والانغلاق في المقاطع التالية من رواية " البكاء" أمثلة عن انكماش الحياة الاجتماعية في الجزائر خلال فترة التسعينات:

«أقول أحيانا لشخصي الذي فقد كل أسباب العيش، خاصة عندما تتضاءل الحلول والخيارات في حياتي المعقدة بعد رحيل هشام عبدي: ماذا تبقى منك يا سفيان غير الألم والتوحد»²

«مفاجأة والله في زمن لا مفاجآت فيه، هل أقول لك نسيت المفاجآت والمناسبات والأصدقاء»³
«كنت محظوظا هذا المساء، سأكتب هذا في كناشتي حتى لا أضيع الصيد والكلمة الجميلة، شكرا سامية، تماديت بعد ذلك في استعراض لغتي الشعرية المتدفقة من أعماقي، من ذاكرتي ككاتب مولع بالتجريب لولا التخريب الذي طال حياتي برمتها»⁴

«هي سنوات وأنا في دائرة مغلقة، مظلمة بدايتها بقرص منوم أتناوله ونهايتها باستيقاظي المتأخر»⁵
«قصدت قاعة الشاي القريبة من حديقة " الأسود" الصغيرة كانت إلى وقت قصير قبلة للسياح الأجانب»⁶
«يجلب لنا الهاتف دائما المأساة فجرا أو ليلا، أكره الهاتف الذي يرن في هذه الأوقات مهما كانت الأسباب، عليك بالاختفاء فوراً فوراً فوراً»⁷

¹ - آمال بوعيشة، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب بالجزائر، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر - بسكرة -، 2013-2014، ص45.

² جيلالي عمران، البكاء، ص10.

³ المرجع نفسه، ص 11.

⁴ المرجع نفسه، ص 13.

⁵ المرجع نفسه، ص 17.

⁶ المرجع نفسه، ص 19.

⁷ المرجع نفسه، ص32.

«تقاطعت الأسباب لأكون الشخص المناسب حقا في تدوين يوميات مدينة داخلية كانت إلى وقت قريب

هادئة ومسالمة، ويوميات أشخاص يتوافدون فرادى وجماعات وفضوليين إلى عيادتي»¹

من خلال هاته المقاطع نلاحظ تحولا في المجتمع الجزائري بأكمله أشخاصا وهيئات ومرافق ومؤسسات وعرف حالة من العزلة والانغلاق هذه العزلة لم تكن اختيارا، بل كانت نتيجة حتمية لواقع أمني مضطرب

أثر نفسيا على الأفراد، فانتشرت حالات القلق والهلع وأصبح الصمت والابتعاد وسيلة للحفاظ على الحياة.

هكذا تحولت الحياة الاجتماعية إلى نمط باهت ومحدود يطغى عليه الحذر والخوف بدل التواصل

والتضامن. وبالتالي يمكن القول إن العشرية السوداء لم تؤثر فقط على الوضع الأمني، بل أحدثت شرخا

في النسيج الاجتماعي حيث ضعفت الروابط الانسانية مما جعل العزلة سمة بارزة في تلك المرحلة.

2-تغير أدوار الأسرة:

أدت ظروف العنف وفقدان المعيل (الأب غالبا) إلى اختلال التوازن داخل الأسرة ، حيث كانت

الأسرة في الأصل تقوم على توزيع واضح للأدوار: الأب مسؤول عن الإنفاق والحماية، والأم عن الرعاية

والتربية « إن نجاح الأسرة في القيام بوظائفها يتوقف على عدد من المقومات الأساسية التي لابد منها

، فهي بحاجة إلى صحة نفسية تساعد على مواجهة أزمات الحياة »² وبغياب المعيل (موت أو غياب

الأب) تتأثر الأسرة بشكل عميق نفسيا و ماديا ، فتعيش حالة من الحزن والقلق وعدم الأمان ، وقد

يصاب أفرادها باضطرابات نفسية كالتوتر والخوف وفقدان الإستقرار العاطفي وبالتالي « ستعكس على

مجرى حياة الأسرة مخلفات وعواقب وخيمة »³ فقدان المعيل لم يغير فقط الأدوار داخل الأسرة ، بل

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 66.

² نبيل حليلو، انعكاسات الإرهاب على الأسرة (دراسات نفسية وتربوية)، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية،

https://dspace.univ.ouargla.dz، 11 ديسمبر 2013، ص174.

³ نبيل حليلو، المرجع نفسه، ص174.

ساهم أيضا في تفككها نتيجة الضغط النفسي والفقر وانعدام الاستقرار وفي المثال التالي من الرواية مثال عن فقدان المعيل وهو الطبيب هشام عبيد الذي طارده المجنون الرينقو إلى أن استطاع الفتك به. «في شريط سريع رأيت فيه الجميع، أمي الراحلة، سهى، عبير، سامية، كفني بين يدي، كنت أسمع خطوه السريع يقترب من هيكلي، تسلل البياض إلى عيني لم أعد قادرا على رؤية الوجوه... لا تعينني حياتي بقدر ما يعينني حزن عبير ويتم سامية لا لأنني مقتول لا، لأن مجنونا فتك بي في لحظة أخطأت فيها التقدير... ستحزن...»¹

هذا المقطع يظهر إدراك الطبيب للحالة الصعبة التي ستكون فيها عائلته بغيابه سواءا من الناحية النفسية أو المادية وهذا ما عانت منه الكثير من العائلات الجزائرية آنذاك.

في المقطع التالي مثال آخر عن غياب المعيل لكن بصفة أخرى ليس الموت وإنما الجنون وهو الرينقو الذي فقد عقله نتيجة المشاهد التي كان حاضرا فيها عندما كان يعمل سجانا سابقا ولم يستطع تحملها «فهمت من زوجته أن - أي زوجها - كان سجان سابق في سجن المدينة لأربع سنوات، كانت كافية ليجن المسكين، أصيب بانهايار عصبي من جراء العمل ليلا، وملازمته مجرمين ومتطرفين وإرهابيين ألقى عليهم القبض في ظروف غامضة»²

بالتالي فزوجة الرينقو (مريم) وجدت نفسها وحيدة ، حزينة وهي تشاهد زوجها ولا تستطيع فعل شيء ، وما زاد الطين بلة في حياة مريم هو عيشها في بيت العائلة أين كان للأخ الكبير لزوجها القدرة على السيطرة المطلقة على البيت فكانت تذهب للطبيب النفسي الخاص بالرينقو لتجديد وصفة دواء زوجها من جهة، وللفضضة من جهة أخرى « هي فرصة لتثرت عن مأساتها داخل عائلة كبيرة ، كان للأخ الكبير القدرة على السيطرة المطلقة... أعيش في جحيم يومي لا يطاق يا دكتور»³ فبسبب ظروف العنف

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 82.

³ المرجع نفسه، ص 85.

التي أدت إلى فقدان المعيل أدى ذلك الى تغير واضح في أدوار الأسرة وتفككها ، إذ اختل التوازن داخلها بعد غياب الأب الذي كان يتحمل المسؤولية، وبالتالي أصبحت الأسرة تعاني من هشاشة اقتصادية ونفسية مما ساهم في ضعف الروابط الأسرية وتفككها في كثير من الحالات.

في هذه المقاطع من الرواية مثال عن التفكك الأسري وتحول الأدوار وهو خروج مريم زوجة الرينكو للعمل وجعلها عرضة للاستغلال من طرف وحوش بشرية «هل تتصور خروجي للعمل كان سهلاً؟ مريم، التي هي أنا تزوجت كل أفراد العائلة، زوجي غير المهتم، أخوه الأكبر صار يتحكم لا شغل له سوى مريم لولا الخوف لقلت لزوجته أنه يريدني بأي شكل، ربما خروجي للعمل حل لينساني نهائياً أو يخلق مشكلة حقيقية ويتركني بسلام تعبت منه يا هشام»¹

«أنا حامل، هو سيقتلني لا محالة، علاوة سيقتلني يا هشام، لم أستوعب كلمة "حامل" الأدق لم أفهم جيداً لغتها من اللحظة الأولى التي انفجرت فيها بالبكاء»²

نستخلص أن غياب المعيل من أكبر المآسي التي يمكن أن تعيشها الأسرة إذ لا يقتصر أثره على الجانب المادي فقط، بل يمتد إلى انهيار التوازن الأخلاقي والنفسي، ويتجلى ذلك في حالة زوجة الرينكو التي اضطرت إلى الخروج للعمل بعد مرض زوجها، فوجدت نفسها في مواجهة ضغوط وظروف صعبة جعلتها عرضة للاستغلال والانحراف.

هذه الحادثة تعكس حجم المعاناة التي قد تدفع بعض الأفراد إلى سلوكيات سيئة نتيجة الفقر، والوحدة، وغياب السند، مما يبرز خطورة تفكك الأسرة في مثل هذه الظروف.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 95.

² المرجع نفسه، ص 140.

3 - انتشار الأمراض النفسية:

شهدت فترة العشرية السوداء في الجزائر انتشارا واسعا للأمراض النفسية بين الأفراد نتيجة الظروف القاسية التي عاشها المجتمع «حيث أبرزت الدراسات والأبحاث أن أغلب أعضاء الجماعات الإرهابية يعانون من أوضاع اجتماعية سيئة»¹ منه فإن استفحال الأوضاع الاجتماعية والأمنية أدت إلى انتشار الأمراض النفسية في المجتمع ومنهم من انخرط في الجماعات المسلحة وأصبح فردا منها.

يمكن القول إن العشرية السوداء خلفت جروحا نفسية عميقة لا تزال آثارها قائمة في المجتمع إلى اليوم، فقد عاش الناس في خوف دائم بسبب العنف والإرهاب مما أدى إلى ظهور اضطرابات نفسية مثل القلق، الاكتئاب، الهواجس والتخيلات والصدمة النفسية وفي المقاطع التالية أمثلة عن هذه الاضطرابات:

« كل هذا الجنون الذي بعثني طيلة تلك السنوات، إذ تجدني أتكور حول نفسي والاشباح تعذبني كيفما

شاءت، كلهم يريدون الثأر من كاتب ركب موجة الشهرة على ظهور ضحاياه وخياناتهم ونزواتهم»²

« كل الأذقة التي أعبرها وكل الزوايا بلا باستثناء شككت في تضامنها معي ، إذ تبدو متواطئة مع

الرينقو والقدر، كل زقاق ألجه هاربا ، خائفا أتوقع وجود خصمي فيه ، ينتظرني بفأس أو خنجر أو

مسدس كل مقهى من مقاهي المدينة أتصورها محطتي الأخيرة ، مشهدي الأخير ، أشك في كل شبح

أو هيكل عظمي ، يتحرك أو يقترب حيث أنا و رأسي بين كتفي أجري ولست متأكدا بأني أجري بالفعل

«....»³

« حالته من المفروض تعالج عند أخصائي الأمراض العقلية»⁴.

¹ آمال بوعيشة، جودة الحياة لدى ضحايا الإرهاب في الجزائر (دراسة ميدانية بدائرة براق)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية،

الجزائر ، <http://dspace.univ-ouargla.dz>، 13 ديسمبر 2013، ص50.

² جيلالي عمراني ، البكاء ، ص 10.

³ المرجع نفسه، ص36.

⁴ المرجع نفسه، ص80.

«الأدق ثمة قيود وهمية تكبلني أعرف أنها أوهام لا غير، لكنها تمنعني من الكتابة ... من الحقيقة يا سيدي، مأساتي تتلخص في أشباح تقلقني وتعذبني ليلاً، زوار كثيرون يهددونني لو فعلت مجدداً ، زوجتي نفسها لم تعد تثق في قدراتي الكتابية»¹

« أنا منهار لكنني لست مجنوناً بالكامل، ولست ضعيفاً بالمطلق»²

«هم، صدقني، شخصيات، ورقية خرجت من السطر الأخير، من مذبح كبير سلخهم الكاتب الشبح، نعم هي شخوص ورقية خرجت من صلب الكلمات من السطر الأخير، أراها تتشكل في هياكل عظمية ثم تتحدث بإسهاب عن حقارتي ونذالتي، أرتعش برداً و خوفاً ، رأيتهم من لحم ودم»³

« ذاك الخائف من أشباح الليل، المفزوع كل ليلة من محاكمة يتخيلهم وهم يشنقونه، يفتحون جسده ويفرغون حفلات الملح والخل والبول »⁴

تصور هذه المقاطع معاناة شخصيات الرواية من اضطرابات نفسية عميقة حيث يهيمن الخوف والقلق على إدراكها للواقع، أصبح الجميع يعانیه الهواجس والتخيلات وتلجأ للعلاج عند المختص هذا الأخير كذلك كانت لديه أوهامه وهواجسه الخاصة.

بذلك كشفت هذه المقاطع عن أثر الصدمات النفسية والظروف القاسية في تفكك التوازن النفسي للشخصيات، حيث تحول العالم الخارجي إلى مصدر تهديد دائم، وأصبحت الذات سجينة القلق والاضطراب الدائمين.

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص103.

² المرجع نفسه، ص103

³ المرجع نفسه، ص132.

⁴ المرجع نفسه، ص 132.

مما سبق يتضح أن انتشار الأمراض النفسية لم يعد حالات فردية معزولة، بل ظاهرة اجتماعية ارتبطت بالظروف القاسية التي عاشها المجتمع هذه الاضطرابات ليست مجرد أعراض عابرة، بل انعكاس عميق لمعاناة داخلية وجروح نفسية خلفتها الأزمات، مما جعل الانسان يعيش صراع دائم بين الواقع وما تولده مخيلته من هواجس.

من خلال الحديث عن الأمراض النفسية استطاع الكاتب أن يعمق البعد المأساوي في الرواية ويمنحه بعدا إنسانيا مؤثرا، إذ لم يكتف بعرض الأحداث الخارجية القاسية بل نقل القارئ إلى العالم الداخلي للشخصيات (الخوف، القلق، الهلوسات..) فتصوير اضطراب الإدراك، والهواجس والانهيار النفسي جعل المأساة لا تقتصر على الواقع المعاش فقط، بل تمتد إلى معاناة نفسية خفية تعيشها الشخصيات في صمت، وهكذا تتحول هذه الأمراض إلى وسيلة فنية تكشف حجم الألم الذي خلفته الظروف القاسية، وتبرز ضعف الإنسان أمامها مما يزيد الإحساس بالمأساة ويجعل القارئ يتعاطف بعمق مع الشخصيات ومعاناتها.

4-تضرر الحياة الثقافية:

تضررت الحياة الثقافية في فترة العشرية السوداء بشكل الكبيرة حيث عرفت الجزائر حالة من الانكماش الثقافي بسبب الخوف وعدم الاستقرار الأمني، وذلك « لأن ما مرت به الجزائر خلال فترة العشرية السوداء أو ما يطلق عليها بالأزمة الوطنية لم يكن بالأمر السهل ، لأنها مست جميع المجالات السياسية، الاقتصادية و الاجتماعية والثقافية ، وما أحدثته من تحولات خاصة على مستوى المجال الثقافي»¹ فقد

¹ وداد مراد، صورة الموت في روايات العشرية السوداء (رواية الورم لمحمد ساري نموذجا) مذكرة ماستر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2020 -2021، ص 108.

أغلقت العديد من المسارح و دور السينما والمكتبات ، وتراجعت الأنشطة الفنية والأدبية مثل الندوات والمعارض ، نتيجة استهداف المثقفين والفنانين وتهديدهم كما اضطر الكثير من الكتاب والصحفيين إلى الهجرة أو التوقف عن الإبداع، مما أحدث فرقا ثقافيا واضحا ، هذا الوضع أدى الى عزلة المجتمع وتراجع الحوار الفكري وغيرها كثير من مظاهر العزلة و تراجع الحياة الثقافية لتصبح الثقافة في تلك الفترة ضحية من ضحايا العنف .

في رؤية البكاء نجد من بين أسباب تراجع المجال الثقافي في المقطع التالي « كانت ظاهرة جديدة مرعبة لم تكن أبدا في الحسبان تحولت أطراف مدينة "ب" الجبلية إلى مرتع للمتطرفين ، يقررون ما يشاؤون ، أولا منعوا التدخين ، ثم منعوا وصول الجرائد إلى المدينة ، غلقت المكتبة الرئيسية لاحقا ، في أعقاب ذلك المد حرق المركز الثقافي الوحيد نهارا ، قُتل كل ما له علاقة برجال الأمن أو الجيش في فترات متقاربة جدا »¹ هذا المقطع يصف تحول مؤلما للحياة الثقافية خلال الفترة العشرية السوداء حيث يشير إلى أن أماكن كانت مخصصة للنشاط الثقافي (المكتبات ودور الثقافة تحولت إلى فضاءات بلا قيمة فكرية أو أغلقت تماما بسبب الخوف وانعدام الأمن ، هذه الصورة ترتبط مباشرة بتراجع الوضع الثقافي ، لأن الثقافة تقوم أساسا على التواصل والقراءة واللقاءات الفكرية، ومع سيطرة الخوف ، انسحب الأفراد إلى العزلة فتوقفت الأنشطة الثقافية واختفى الإبداع تدريجيا .

هنا عكس هذا المقطع كيف أدى الارهاب إلى خنق الحياة الثقافية وتحويل المجتمع من مجال حي بالحركة الفكرية إلى واقع جامد يطغى عليه الصمت والفرغ.

في المقطع التالي مثال آخر عن تراجع الحياة الثقافية في الرواية «سنوات طويلة كنت في نفس الغرفة، يؤلمني منظر المكتبة الفارغة التي تحولت مع مرور الأيام إلى خزانة لملايسي وجواربي

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص 176.

و قمصان تحشوها بأية حشوا مريعا ، لتحدث تشوها في ذاتي ، كلما رأيت ذاك المنظر أعط في النوم العميق ، أتمنى ألا أستيقظ نهائيا ، كأني أرجيء حالة الانتحار إلى أقرب لحظة و لحظة تلي أخرى ، سنة تلي أخرى ، لم أفكر يوما في مواجهة نفسي الضعيفة ، كما قالها الدكتور»¹

يعبر هذا المقطع بوضوح عن تضرر الحياة الثقافية من خلال الصورة المؤلمة التي يقدمها السارد لمكتبته، إذ تحولت من فضاء للمعرفة والقراءة إلى خزانة ملابس، وهو تحول رمزي يدل على انهيار القيمة الفكرية أمام ضغط الخوف والواقع المأساوي.

كما يكشف المقطع عن الألم النفسي العميق الذي يعيشه السارد حيث يشعر بالانكسار والاعتراب أمام هذا التحول ؛ والمشهد لا يصف مجرد تغيير مادي بل يعبر عن ضياع جزء من هويته الثقافية لذلك يتمنى الهروب عبر النوم، وكأن الواقع أصبح غير محتمل، هكذا يتداخل تراجع الحياة الثقافية مع المعاناة النفسية الشخصية ، ليجسد الكاتب مأساة المثقف في زمن الخوف ، حيث تُفقد الثقافة و يحل محلها الفراغ والقلق، هنا نجد أن الكاتب قد نجح في جعل تراجع الحياة الثقافية ليس مجرد خلفية للأحداث فقط، بل عنصرا أساسيا في إبراز الجو الكئيب والاختناق النفسي الذي يطبع الرواية ويجعلها مشبعة بالحزن والانكسار.

في ختام هذا الفصل ، تبين لنا أن عنصري الزمن و الفضاء السريين لم يكونا مجرد إطارين لأحداث الرواية فحسب بل شكلا بنية دلالية أسهمت في تجسيد سردية المأساة التي طبعت مرحلة العشرية السوداء فقد ارتبط الزمن بأجواء الخوف والترقب والاضطراب بينما تحول الفضاء إلى مرآة تعكس واقعاً مأزوما تسوده العزلة والانكسار وفقدان الأمان كما كشفت الدراسة عن جملة من المظاهر الاجتماعية التي أفرزتها تلك المرحلة، على غرار التفكك الأسري و انكماش الحياة الثقافية والاجتماعية، وتغير أدوار

¹ جيلالي عمراني، البكاء، ص176.

الأسرة وهي مظاهر أسهمت في تعميق الاحساس بالمأساة داخل النص الروائي ، بذلك استطاعت الرواية أن توثق معاناة المجتمع الجزائري خلال تلك الحقبة، وأن تنقل أثرها النفسي والاجتماعي عبر رؤية سردية تجمع بين البعد الواقعي و الإنساني .

الخاتمة

في ختام هذا البحث يتبين أن الخوض في عالم الأدب الجزائري وبخاصة أدب المحنة يفتح آفاقا لفهم أعمق للتحويلات التي عرفها المجتمع خلال العشرية السوداء، حيث لم يكن الأدب مجرد وسيلة فنية. بل أصبح شهادة حية على واقع مثقل بالألم والمعاناة وسبيلا لتفكيك ما عجز الواقع عن البوح به. وقد مكنتنا هذه الدراسة من الوقوف على أبرز خصائص هذا اللون الأدبي وكذا الكشف عن علاقته الوثيقة بالواقع النفسي والاجتماعي من خلال إبراز الدور الفعال للسرد في نقل تفاصيل الأزمة وتجلياتها على الفرد والمجتمع، كما أتاح لنا تحليل رواية "البكاء" الوقوف على كيفية تجسيد المعاناة عبر بناء فني قائم على توتر الأحداث وتشابك الأزمنة، وعمق الشخصيات التي تعكس ضعف الإنسان في ظل الظروف القاسية التي تعصف به.

ومن أهم النتائج إلى توصلنا إليها:

- تصوير الشخصيات في حالة صراع داخلي دائم، يعكس الانكسار والخوف والتهيه.
- اعتماد السرد الداخلي كآلية فنية للتعبير عن تشظي الذات وعمق المعاناة.
- اعتماد الرواية على البعد النفسي في تعرية آثار العنف على الذات الإنسانية.
- تجسيد المكان كفضاء خانق يعكس القلق والعزلة بدل كونه اطارا محايدا.
- توظيف الزمن بشكل متداخل يعكس اضطراب الذاكرة وتداخل الماضي بالحاضر.

كما تؤكد الدراسة أن أدب العشرية السوداء لم يكن فقط أداة توثيق سردية بل شكل أيضا وسيلة لمقاومة النسيان ومحاولة لفهم الألم وتجاوزه.

وفي الأخير نقر بأن هذه الدراسة تبقى محاولة محدودة للإحاطة بجوانب هذا الموضوع الواسع، إذ لا تزال رواية "البكاء" تزخر بدلالات عميقة تستدعي مزيدا من البحث والتحليل، نأمل أن تكون هذه المحاولة خطوة تسهم في فتح آفاق دراسات لاحقة أكثر توسعا.

الملحق

الملحق

التعريف بالكاتب:

جيلالي عمراني هو روائي وقاص وأديب جزائري بارز من مواليد من 10 يناير 1969 بقرية أقويلال بمدينة البويرة.

خريج المعهد التربوي بمدينة تيري وزو عام 1986، اشتغل كمدرس ابتدائي نهاية الثمانيات، نشر عدة محاولات في القصة القصيرة في الصحافة الوطنية، بعضها نالت الاستحسان والجوائز كجائزة أول نوفمبر سنة 1994.

كما نال الجائزة الأولى في مسابقة صالون نجيب الثقافي عن رواية البكاء سنة 2018.

ونال درع التميز الثقافي من جمعية فسيلا في إطار الاحتفاء بإبداعه الروائي والقصصي.

النتاج الروائي الجبالي عمراني:

- "المشاهد العارية" سنة 1999.
- "عيون الليل" سنة 2004.
- "أحلام الخريف" سنة 2008.
- "المنافي" نسبة 2018.
- "البكاء" سنة 2018.
- "الغسل" سنة 2019.
- "اليرابيع السود" سنة 2003.

ملخص الرواية:

تستحضر الرواية أجواء التحولات العاصفة التي عرفت الجزائر منذ أحداث الخامس من أكتوبر 1988 وما تلاها من اضطرابات سياسية وانفلات أمني عقب تعثر المسار الانتخابي، حين انعكست هذه المرحلة على مختلف جوانب الحياة، مخلفة أزمات عميقة طالت الإنسان والمجتمع والمدينة، وأفرزت تشوهات نفسية واجتماعية خطيرة.

تقدم الرواية عالما مثقلا بالأماسي، تتقاطع فيه مصائر شخصيات قلقة مهزومة، عاشت تحت وطأة الخوف والاضطراب فانكسرت أحلامها البسيطة وتفككت الروابط الأسرية والاجتماعية، وقد اعتمد الكاتب تقنية تعدد الأصوات، حيث تتناوب الشخصيات على سرد الأحداث بدءا من صوت سفيان عبد الجليل ثم الطبيب هشام عدي مما يمنح النص بعدا تعدديا يعكس تشتت الواقع ذاته.

يظهر سفيان عبد الجليل ككاتب حالم يسعى إلى إعادة تشكيل الواقع عبر الكتابة ، فيدون تفاصيل يوميات بلده المأزومة ، لكن سرعان ما تتعقد مسيرته حين يجد نفسه في مواجهة قوى تقمع صوته وتحور إبداعه ، يتعرض مخطوطة المعنون بـ"حرائر" للمصادرة من طرف الأمن ليظهر بعد سنوات بعنوان مغاير ومضمون مشوه يعكس رؤية مقلوبة للواقع، كأن النص سُرق منه وأعيد إنتاجه لخدمة خطاب آخر هذا ما جعل الكاتب يدخل في أزمة نفسية فأصبح يتخيل شخوص روايته المسروقة تهاجمه وتعذبه ، تتجلى المفارقة في أن الرواية المشوهة تلقى انتشارا واسعا بفضل الترويج الكبير لها وما زاد الحالة سوءا هو أن العمل يحمل اسم سفيان عبد الجليل ويحمل صورته على الغلاف رغم أنه لم يكن هو من كتب هذا الانتاج المشوه. هذا الوضع كرس مأساة المثقف في زمن الفوضى، حيث تصدر الحقيقة ويعاد تشكيلها وفق مصالح قوى خفية.

كما أن الرواية تتعمق في البعد النفسي للشخصيات، إذ تغمرها مشاعر الحزن والخيبة، خاصة شخصية "باية" التي كانت تعيش آثار ما جرى وحدث لزوجها سفيان عبد الجليل، هذا الأخير الذي يتعرض لحملة تشويه ممنهجة تجعله منبوذا داخل مجتمعه، فينسحب تدريجيا إلى عزلة قاسية، تعكس حجم الاغتراب الذي يعانيه الفرد في زمن الأزمات.

ومن جهة أخرى تبرز شخصية الطبيب "هشام عبدي" الذي لم يسلم بدوره من تداعيات العنف سواء الجسدي أو النفسي، إذ يحاول الهروب من واقع مأزوم وهو حبه القديم وكذا الوضع المعيشي الصعب في العاصمة إلى زواج سريع والاستقرار في مدينة - البويرة - لأنها تفتقر إلى أطباء نفسيين ليجد نفسه غارقا في صراعات داخلية لا تقل قسوة عن العالم الخارجي لينتهي به الأمر مطاردا من أحد مرضاه وهو "الرينقو" المجنون هذا الأخير الذي كان يشك بأن للطبيب علاقة مع زوجته "مريم"، تعكس تجربة الطبيب ضعف الانسان أمام ضغط الظروف وانهيار القيم.

كما تسلط الرواية الضوء على نماذج أخرى من الشخصيات التي أنهكتها مرحلة الأزمة، مثل المجنون "الرينقو" وزوجته حيث تتحول حياتهما إلى مرآة تعكس التفكك الاجتماعي والانهيار الأخلاقي الناتج عن غياب الاستقرار وفقدان المعيل. وفي خضم هذه الأحداث تطرح الرواية عدة تساؤلات عميقة حول. مصير الوطن والانسان، وتجسد قلقا وجوديا يلزم الشخصيات ليتحول السؤال المركزي الى صرخة جماعية: نحو أي طريق تمضي الجزائر؟ وأي مستقبل ينتظر هذا الوطن؟ وهو سؤال مفتوح يعبر عن حيرة جيل كامل عاش تلك المرحلة بكل ما فيها من ألم وغموض وبذلك تقدم " البكاءة " صورة سردية قاتمة لكنها واقعية، ترصد مأساة مرحلة تاريخية حرجة، وتكشف معاناة الانسان في ظل العنف مؤكدة قدرة الرواية على توثيق الذاكرة الجماعية ونقل معاناة الشعوب بلغة أدبية مؤثرة.

في النهاية يترك الكاتب مصير الشخصية مفتوحاً دون حسم مما يفتح المجال أمام القارئ لطرح احتمالات متعددة والتفكير في مآلات الأحداث لتضل الرواية محفوفة بالتساؤلات والتأويل.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

-المصادر

- جيلالي عمراني، البكاء فهرنهايت 451 للنشر والتوزيع، الجزائر، 2024.

-المعاجم

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، لبنان، 2005، مجلد 7، مادة (س، ر، د)

- الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، دار الفكرة ، لبنان.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1982.
- فيصل الأحمر، نبيل دادوه، الموسوعة الأدبية، ج1، دار المعرفة، الجزائر، 2009.

-المراجع

باللغة العربية:

- أحمد منور، ملامح أدبية، دار الساحل للنشر، الجزائر، 2008.
- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية، ط2، لبنان، 2015.
- الشريف حبيله، الرواية والعنف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2010.
- بشير خلف، الفنون لغة الوجدان، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- بشير خلف، وقفات فكرية، دار الهدى للنشر، الجزائر، 2009.
- حمري بحري، دراويش الحداثة دراويش السياسة، صادر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- سيزا قاسم، بناء الرواية، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2016.
- صالح صلاح، سرد الآخر المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2003.
- عبد الجاسم الساعدي، العنف السياسي، دار فضاءات للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2013.
- عبد الحكيم المالكي، تحليل الخطاب السردى تطبيقيا، تالة للنشر، ط1، ليبيا، 2023.
- عبد السلام محمد الشاذلي، شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة، دار الحداثة للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1985.

- عبد القادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، ط 4، عمان، 2008.
 - عبد الله ركيبي، تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.
 - عند الله ركيبي ، أحاديث في الأدب والثقافة، دار الكتاب العربي ، 2009.
 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
 - عبد المالك مرتاض ، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.
 - عزيز نعمان، رواية ما بعد الحداثة، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013.
 - عمر أزراج، أحاديث في الفكر والأدب ، دار الأمل ، الجزائر، 2007 .
 - فتحي بوخالفة ، شعرية القراءة والتأويل في الرواية الحديثة، عالم الكتب الحديث ، ط1، الأردن ، 2010.
 - لونيس بن علي، الفضاء السردي في الرواية الجزائرية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2015.
 - محمد تحريشي، في الرواية والقصة والمسرح، دحلب للنش، الجزائر، 2007.
 - محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث ، دار العودة ، مصر، 1997.
 - مسعود لعريط ، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربية ، موفم ، الجزائر، 2013 .
 - ميساء سليمان ، البنية السردية في كتاب الامتاع والمؤانسة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011 .
 - ناجي جمعة، الحوار في الرواية البحرينية المعاصرة، اسكريب للنشر والتوزيع، مصر، 2022.
 - نقله حسن أحمد العزي، تقنيات السرد وآليات تشكيله، ط1، الأردن، 2010.
 - هيام شعبان، السرد الروائي في أعمال إبراهيم نصر الله، دار الكندي، الأردن، 2024.
 - ياسين النصير، الرواية والمكان، دار الحرية، بغداد، 2010.
- المتريجة:
- جيرالد برنس، المصطلح السردية، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2003.
 - ديفيد لودج ، الفن الروائي ، تر: ماهر البطوطي ، مؤسسة هنداي، 2023.

-الرسائل:

- أمال بوعيشة ، جودة الحياة وعلاقتها بالهوية النفسية لدى ضحايا الإرهاب ، الجزائر ، رسالة دكتوراه ، جامعة بسكرة ، 2013 .
- ضياء عبد الله ركيبي ، تحولات السرد العربي القديم ، رسالة دكتوراه ، الجامعة الأردنية ، 2004.
- وداد مراد ، صوت الموت في روايات العشرية السوداء (رواية الورم لمحمد ساري نموذجاً) ، مذكرة ماستر ، جامعة ورقلة ، 2020.

-المجلات:

- حصة دحماني ، ظاهرة المأساة في الشعر العربي ، مجلة الأدب، جامعة الجزائر، العدد 10، 2009.
- عبد الله شطاح، الرواية الجزائرية التسعينية كتابة المحنة أم محنة الكتابة، تباين، العدد 06 ، 2016،
- عثمان رواق ، السردية المأساوية في مجموعة شتاء دمشق لنوار ياسين ، مجلة منتدى الأستاذ ، جامعة 20 أوت 1955 ، سكيكدة ، المجلد 19 ، العدد 01 ، 2023 .
- نهيان هواوي ، صراع المنقف في الرواية الجزائرية المعاصرة: رواية الشمعة والدهاليز للطاهر وطار أنموذجاً، مجلة علوم اللغة العربية و آدابها ، المجلد 12 ، العدد 03 ، 2020.
- يحيى سعدوني ، جمالية المكان المأساوي في رواية السجون « تازممارت الزنزانة رقم 10 » لأحمد المرزوقي أنموذجاً، جسور المعرفة ، المجلد 09، العدد 03، 2023.

- المواقع الإلكترونية:

- أمال بو عيشة، جودة الحياة لدى ضحايا الارهاب في الجزائر (دراسة ميدانية بدائرة براقي)، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية الجزائر ، <https://dspace.univ-ouargla.dz> ، 13-12-2013.
- أمين خروبي ، تقنيات الزمن الروائي دراسة في المفارقات الزمنية والايقاع الزمني ، مقامات للدراسات اللسانية والأدبية والنقدية، الرقم 01 ، <https://asjp.cerist.dz> ، 01-12-2019.

- أمين زرواطي، رواية "مجنونة الجزائر" تكشف جزءا من حقيقة دفنت مع ضحايا مجزرة " بن طلحة"، <https://www.france24.com>، 2014-09-06، 15:17.
- ضاوية بن قاسمي ، تأزم العلاقات الزوجية في الأسرة الجزائرية كمتغير مهيكل لظهور و انتشار العنف الجسدي ضد الأبناء ، مجلة الحكمة للدراسات التربوية والنفسية ، 2016-10-09 ، <https://asjp.cerist.dz>،
- محمد موسى العبيد، دراسة تطبيقية على رواية (الرجل الغراب)، منتدى الرواية الافتراضي المنصة الرقمية لمناقشة ومدارسة الروايات السودانية، الجلسة رقم 03، <https://www.scribd.com>، 2020.
- نبيل حليلو ، انعكاسات الارهاب على الأسرة (دراسات نفسية و تربوية)، مخبر تطوير الممارسات النفسية و التربوية، <https://dspace.univ.ouargla.dz> ، 11-12-2013.
- ناشد كي ، عباس كي بي ، تقنيات الزمان في القصص والروايات ، مجلة الساج (مجلة بحثية سنوية محكمة)، الرقم 04 ، <https://researchjournalmesmampad.edu.in>، 2021-07-04.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
....	الشكر والتقدير
....	الإهداء
....	مدخل
أ - د	مقدمة
15	الفصل الأول: الشخصية والسرد المأساوي
17	المبحث الاول: السرد والمأساة الذاتية
17	1- الشخصيات الرئيسية:
18	1-1- شخصية سفيان عبد الجليل:
20	1-2- شخصية هشام عبيدي:
21	1-3- شخصية باية:
22	1-4- شخصية راس الكيلو (عمي بشير):
23	1-5- شخصية الرينقو (علاوة):
24	2- الشخصيات الثانوية:
25	1-2- شخصية عبير:
25	2-2- شخصية زبيدة:
26	2-3- شخصية مريم:
27	2-4- شخصية سامية:
28	3- الشخصيات الهامشية:
29	1-3- شخصية والدة سفيان عبد الجليل:
30	2-3- شخصية سعيد الدق:
30	3-3- شخصية الرجل الحديدي (لبلاندي):
31	المبحث الثاني: السرد ودينامية العلاقات
32	1- سفيان وباية ونسيج المعاناة:
34	2- المأساة. مسارات الألم ومحاولات الترميم:
35	3- مأساة القلم والسلطة:
37	4- بين الانكسار ومحاولة الترميم:
39	5- لغة الذكريات:
40	المبحث الثالث: تمثلات المأساة

فهرس المحتويات

41	1- الألم:
42	2- العنف:
43	3- الخوف:
45	4- الأمراض النفسية:
49	الفصل الثاني: المجتمع والسرد المأساوي
51	المبحث الاول: الزمن والسرد المأساوي
52	1- الاستباق:
54	2- الاسترجاع:
56	3- الايقاع الزمني:
56	1- 3- المشهد:
59	2- 3- التلخيص:
62	المبحث الثاني: الفضاء والسرد المأساوي
63	1- الأماكن المفتوحة:
64	1- 1- المدينة:
66	2- 1- الشارع:
68	2- الأماكن المغلقة:
69	1- 2- البيت:
70	2- 2- العيادة:
72	3- 2- المقهى:
73	المبحث الثالث: المظاهر الاجتماعية والسرد
73	1- العزلة وانكماش الحياة الاجتماعية:
75	2- تغير أدوار الأسرة:
78	3- انتشار الأمراض النفسية:
80	4- تضرر الحياة الثقافية:
84	الخاتمة
87	الملحق
92	قائمة المصادر والمراجع
96	فهرس المحتويات